أخلاق العلماء

لأبي بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله الآجري

المتوفى / ٣٦٠ هـ

حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه

بشير محمّد عيون

رحمه الله تعالى

مكتبة دار البيان


م. سرمد حاتم شكر


أخلاق العلماء



لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري

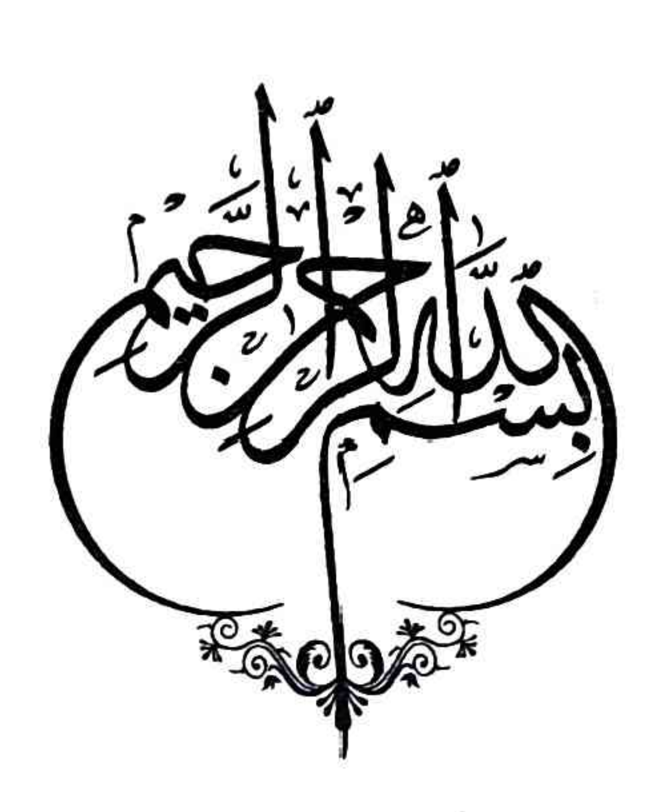
المتوفى / ٣٦٠ هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

بشير محمد عيون

رحمه الله تعالى

مكتبة دار البيان


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

وبعد ، فإن موضوع مكارم الأخلاق ذو شأن خطير ، وأمر

جليل ، فالأمة - اليوم - في أشد الحاجة إلى هذي المكارم ، في عصر طغت فيه المادة ، وسيطرت على عقول الناس ، وأصبحت الغاية التي يسعون إليها للحصول على المتعة والسيادة ، بعد أن كانت وسيلة مقيدة بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال .

وعلم الأخلاق هو قسم من الحكمة العملية ، وهو علم بالفضائل وكيفية التجلي بها ، كما هو بالمفاسد ، وكيفية اجتنابها .

وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة ونقاء السريرة ، وأصل الأخلاق المذمومة هو الكبر والمهانة والدناءة .

أخلاق العلماء :

هذا فيما يتعلق بأخلاق المسلمين عامة ، فإذا انتقلنا إلى الحديث عن أخلاق العلماء خاصة ، فإنه يضاف إلى كل ما ذكرناه من صفات ومزايا ، أخلاق وسجايا يجب أن يسعى العلماء إلى اكتسابها والتحلي بها ، والعمل بالعلم يُعد من شيم العالم الأولى ، قال الشاعر : [من الطويل]

وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ ... خِلافاً ، ولا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمِ

رَأَوا طُرُقَاتِ المَجْدِ عُوجاً قَطِيعَةً ... وأفظعُ عَجزٍ عِنْدَهُم عَجْزُ حَازِمِ

ويجب على العالم ألّا يقول ما لا يفعل ، وأن لا ينصح الناس بعمل ما لا يعمل ، كما قال الشاعر : [من الكامل]

عَــوِّدْ لِسَــانَكَ قِلَّــةَ اللَّفْــظِ ... واحْفَــظْ كَلامَــكَ أَيَّمَــا حِفْــظِ

إِيَّــاكَ أنْ تَعِــظَ الرِّجَــالَ وقَــدْ ... أَصْبَحْتَ مُحْتَـاجـاً إِلَـى الـوَعْظِ

تحدّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه « صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل » عن الفوائد العظيمة التي يجنيها الناس لدى اطلاعهم على أخبار العلماء العاملين والنبهاء الصالحين ، إذ أنها « من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس ، وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره ، في سبيل الغايات النبيلة ، والمقاصد الجليلة ، وتبعثها إلى التأسّي بذوي التضحيات والعزمات ، لتسمو إلى أعلى الدرجات ، وأشرف المقامات »(١) .

وقد حصر الشيخ أبو غدة أخبار العلماء التي تصلح أن تكون مثلاً أعلى ، وقدوةً مُثلى يقتديها النشء والشباب وبقية طبقات الناس من العلماء والمتعلمين فيما يلي :

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة : « صفحات من صبر العلماء » ص(٥) .

١ ـ أخبار العلماء في هجرهم النوم والراحة والدَّعَة وسائر اللَّذاذات .

٢ ـ أخبارهم في الصَّبر على شظف العيش ، ومرارة الفقر ، وبيعهم ملبوساتهم ومفروشاتهم .

٣ ـ أخبارهم في الجوع والعطش في الهواجر ، والأيام والساعات .

٤ ـ أخبارهم في التعب والنصب ، والرحلة في طلب العلم وقطع المسافات من أجله .

٥ ـ أخبارهم في العري الدّائم ، ونفاد المال والنفقات في ديار الغربة .

٦ ـ أخبارهم في فقد الكتب ، أو بيعها ، والخروج عنها ، أو غير ذلك عند الملمّات[١] .

ويأتي التواضع ومجانبة العُجب على رأس المزايا والصفات التي يجب أن يتصف بها العلماء ؛ لأنَّ التواضع عَطوف ، والعُجْبُ مُنفِّر ، وهما بكل أحد قبيحان ، وبالعلماء أقبح ، لأن الناس بهم يقتدون ، فالعُجب نقصٌ يُنافي الفضل ، وفي الأثر : « إنَّ العُجْبَ

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة : « صفحات من صبر العلماء » ص(١١ ـ ١٢) بتصرف .

ليأكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ » . وقال بعض السلف : من تكبر بعلمه وترفّع وضَعَهُ اللهُ به ، ومن تواضع بعلمه رفعه الله به .

كتاب الأخلاق :

يتحدث الآجري ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه : « **أخلاق العلماء** » عن شريحة هامة من شرائح المجتمع ، ألا وهي طبقة العلماء ورثة الأنبياء ، ودورهم الكبير في توعية الناس وإرشادهم إلى النهج القويم والطريق الصحيح .

فالعلماء ورثة الأنبياء ، وخيرة الأتقياء ، ونبراس الفضلاء ، فقَّههم الله في الدِّين ، وعلَّمهم التأويل ، وفضلهم على سائر المؤمنين ، بهم يُعرف الحلال من الحرام ، والنافع من الضار ، والحق من الباطل ، والخطأ من الصحيح ، « فهم سراج العباد ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ... مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء ، يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيّروا ، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا »[1] .

---

(١) أبو بكر الآجري : « أخلاق العلماء » ص(١٩ ـ ٢٠) .

منهج الكتاب :

قسَّم الإمام الآجري - رحمه الله تعالى - كتابه إلى بابين كبيرين ، قدّم لهما بمقدمة ضافية وافية ، تحدّث فيها عن فضل العلماء على الناس بما خصَّهم الله به من حكمة في القول ، وفقه بالدين ، وعلم بالتأويل ، وخوف من الله العلي القدير ، إذ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقد جاء الباب الأول بعنوان : باب ذكر ما جاءت به السنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة ، وفي الباب الثاني : يعدد المؤلف أوصاف العلماء الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة .

ويختم المؤلف كتابه بالحديث عن أخلاق العالم المغرور بعلمه ، المفتتن به ، وعن أخلاق العلماء أمثاله .

وختاماً نرجو من المولى عزَّ وجلَّ أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، مدعاة لمغفرته وثوابه العظيم ، إنه سميع مجيب .

دمشق ١٠/٦/١٤٢٥هـ

الراجي من الله العون

بشير محمّد عيون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحاتُ ، وصلَّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وسلم ، وبالله أستعين ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

أما بعد : فإنَّ الله عزَّ وجلَّ ، وتقدست أسماؤه ، اختصَّ من خلقه من أحبَّ ، فهداهم للإيمان ، ثم اختصَّ من سائر المؤمنين مَنْ أحب ، فتفضل عليهم ، فعلَّمهم الكتابَ والحكمة ، وفقَّهَهُم في الدِّين ، وعلمهم التأويل ، وفضلهم على سائر المؤمنين ، وذلك في كل زمان وأوان ، رفعهم بالعلم ، وزينهم بالحلم ، بهم يعرف الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والضارُّ من النافع ، والحسن من القبيح .

فضلُهم عظيم ، وخطرُهم جزيل ، ورثةُ الأنبياء ، وقرةُ عين الأولياء ، الحيتان في البحار لهم تستغفر ، والملائكة بأجنحتها

لهم تَخضعُ ، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع ، مجالسهم تفيد الحكمة ، وبأعمالهم يَنزَجِرُ أهل الغفلة ، هم أفضل من العُبَّاد ، وأعلى درجةً من الزُّهاد ، حياتُهم غنيمة ، وموتُهم مصيبة ، يُذكِّرون الغافل ، ويُعلِّمون الجاهل .

لا يتوقع لهم بائقة ، ولا يخاف منهم غائلة ، بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون ، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون ، جميعُ الخلق إلى علمهم مُحتاج ، والصحيح على من خالف بقولهم محجاج . الطاعة لهم من جميع الخَلْقِ واجبةٌ ، والمعصية لهم محرمة .

من أطاعهم رشد ، ومن عصاهم عَنَدَ ، ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه ، حتى وقف فيه ، فبقول العلماء يعمل ، وعن رأيهم يصدر ، وما ورد على أمراء المسلمين مِنْ حُكْمٍ لا علم لهم به فبقولهم يعملون ، وعن رأيهم يصدرون ، وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون ، وعليه يعولون .

فهم سِراجُ العِبادِ ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، هم غَيْظُ الشَّيطانِ ، بهم تحيا قلوب أهل الحقِّ ،

وتموت قلوب أهل الزيغ ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء ، يُهْتَدى بها في ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيَّروا ، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا .

فإن قال قائل : ما دلَّ على ما قُلْتَ ؟ قيل له : الكتاب ، ثم السُّنة .

فإن قال : فاذكر منه ، ما إذا ما سمعه المؤمنُ سارع في طلب العلم ، ورغب فيما رغبه الله عزَّ وجلَّ ورسولُه ﷺ .

قيل له : أما دليل القرآن فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١١] .

فوعد الله عزَّ وجلَّ المؤمنين أنه يرفعهم ، ثم خصَّ العلماء منهم بفضل الدرجات .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، فأعلم خلقَه أنه إنما يخشاه العلماءُ به .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩].

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩].

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ ﴾ [المائدة : ٦٣] ، يقال : فقهاؤهم وعلماؤهم .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤].

وقال عز وجل : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، إلى قوله : ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤].

قال محمد بن الحسين[1] : وهذا النَّعتُ ونحوه في القرآن ، يدلُّ على فضل العلماء ، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلهم أئمةً للخلق يقتدون بهم .

---

(١) محمد بن الحسين : هو مؤلف الكتاب .

١ ـ **أخبرنا** أبو بكر [١] ، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرَّاني ، حدثنا مروان بن عبد الله الرقي ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال : العلم والفقه [٢] .

٢ ـ **حدثنا** أبو بكر ، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصَّندليُّ ، حدثنا الحسن بن محمد الزَّعفرانيُّ ، حدثنا شبابة ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف : ٢٢] قال : الفقه والعقل والعلم [٣] .

٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، حدثنا أبو بكر بن أبي داود ، حدثنا أسيد ابن عاصم ، حدثنا الحسين ـ يعني ابن حفص ـ الأصبهاني ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان : ١٢] قال : العقل ، والفقه ، والإصابة في القول في غير نُبُوَّةٍ [٤] .

---

(١) أبو بكر : كنية المؤلف ، وسترد في سند الكتاب كثيراً .
(٢) أبو نعيم في « الحلية » ١/ ٢٩٢ ، والطبري في « تفسيره » ٣/ ٦٠ .
(٣) انظر : « تفسير الطبري » ٣/ ٦٠ .
(٤) الطبري في « تفسيره » ٢١/ ٤٣ .

٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، حدثنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا أبو أمية ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان : ١٢] قال : الفقه ، والعقل ، وإصابة القول في غير نُبُوَّةٍ .

٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي ، أخبرنا يوسف بن موسى ، أخبرنا وكيع ، أخبرنا علي بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء : ٥٩] ، قال : أولو الفقه والخير[(١)] .

٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأُشنانيُّ ، أخبرنا الحسين بن الأسود العجلي ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء : ٥٩] قال : الفقهاء والعلماء[(٢)] .

قال : وحدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا الفضل بن مهلهل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم مثله.

---

(١) الطبري في « تفسيره » ٥/ ٩٤ ، والحاكم ١/ ١٢٣ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٤١٩) .

(٢) الطبري في « تفسيره » ٥/ ٩٤ ، وأبو نعيم في « الحلية » ٣/ ٢٩٢ ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ١/ ٢٧ .

باب ذكر ما جاءت به السنن والآثار
من فضل العلماء في الدنيا والآخرة

٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو المصري ، أخبرنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، عن عبد السلام بن سليم ، عن يزيد بن سمرة ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : **« ولَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنبياءِ ، إِنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِيناراً وَلا دِرْهَماً ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »**[(١)] .

٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ، أخبرنا حفص ابن عمرو ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء ،

---

(١) الترمذي (٢٦٨٢) ، وأحمد ٥/ ١٩٦ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٧٠) ، وهو حديث حسن .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَهُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ ، إِنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَلكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »[١] .

٩ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن بدينا الدقاق ، أخبرنا هارون بن عبد الله البزَّار ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أنبأنا يزيد بن عياض ، عن صفوان بن سُليم ، عن عطاء ابن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي دِينٍ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ ، وَعِمَادُ الدِّينِ الْفِقْهُ »[٢] .

---

(١) « الفقيه والمتفقه » ١/ ١٧ بالسند المذكور ، وعنده عمر بن عطاء ، والصواب عثمان بن عطاء .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٢٥) ، والخطيب في « الفقه والمتفقه » ١/ ٢٥ ـ ٢٦ ، والبيهقي في « الشعب » (١٧١٢) ، والدارقطني ٣/ ٧٩ ، والطبراني في « الأوسط » (٦١٦٢) ، وفي إسناده يزيد بن عياض وهو كذاب . انظر : « مفتاح دار السعادة » لابن القيم ص١٠٠ ، طبعتنا مكتبة دار البيان بدمشق .

١٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن روح بن جناح ، عن مجاهد ، عن ابن عبَّاس ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « **فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَلفِ عَابِدٍ** »[1] .

١١ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد ، أخبرنا داود بن رشيد ، أخبرنا الوليد ، عن روح بن جناح ، عن مجاهد قال : بينما نحن وأصحاب ابن عباس حِلَقٌ في المسجد : طاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وابن عباس قائمٌ يُصلِّي ، إذ وقف علينا رجلٌ فقال : هل من مُفْتٍ ؟ فقلنا : سل ، فقال : إني كلما بُلْتُ تبعه الماءُ الدَّافِقُ قال : قلنا الذي يكون منه الولد ؟ قال : نعم ، قلنا : عليك الغُسل ، قال : فولى الرجل وهو يُرجِّعُ .

قال : وعجل ابن عباس في صلاته ، ثم قال لعكرمة : عليَّ بالرجل ، وأقبل علينا ، فقال : أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل عن

---

(١) الترمذي (٢٦٨٣) ، وابن ماجه (٢٢٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١٧١٥) ، والطبراني في « الكبير » (١١٠٩٩) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ١/ ٢٤ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٢١) ، وهو حديث موضوع ، ولتمام الفائدة انظر : « مفتاح دار السعادة » لابن القيم ١/ ١٠٠ ـ ١٠١ طبعتنا مكتبة دار البيان بدمشق .

كتاب الله ؟ قلنا : لا . قال : فعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا : لا . قال : فعن أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قلنا : لا . قال فَعَمَّهْ ؟ قلنا : عن رأينا ، قال : فقال : فلذلك قال رسول الله ﷺ : « **فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشدُّ عَلَى الشَّيطانِ مِنْ أَلَفِ عَابِدٍ** » . قال : وجاء الرجل ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أرأيت إذا كان ذلك منك ، أتجد شهوة في قُبلك ؟ قال : فهل تجد خدراً في جسدك ؟ قال : لا . قال : إنما هذه إبردةٌ ، يجزيك منها الوضوء[1] .

قال محمد بن الحسين : كيف لا يكون العلماء كذلك ، وقد قال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » .

١٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكَشِّيُّ ، أخبرنا سليمان بن داود الشاذَكُوني ، أخبرنا عبد الواحد ابن زياد ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** »[2] .

---

(١) قال صاحب « كنز العمال » هذا الأثر أخرجه ابن عساكر بإسناد حسن .
(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٨٢) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ١/ ٢ ـ ٣ ، والطبراني في « الصغير » (٨١٠) ، وأبو يعلى (٥٨٥٥) ، وابن ماجه (٢٢٠) ، وأحمد ٢/ ٢٣٤ ، وهو حديث صحيح .

١٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا الفريابيُّ ، أخبرنا أبو مسعود المِصِّيصيُّ ، أخبرنا عليُّ بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا يونس ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن قال : سمعت معاوية يخطب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** »[1] .

١٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا محمد بن زنبور المكي ، أخبرنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** »[2] .

قال محمد بن الحسين : فلما أراد الله تعالى بهم خيراً ، فقههم في دينه ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وصاروا سرجاً للعباد ، ومناراً للبلاد .

---

(١) البخاري (٧١) و(٣١١٦) و(٧٣١٢) ، ومسلم (١٠٣٧) (١٧٤) ، والدارمي (٢٣٢) ، وابن ماجه (٢٢١) ، وأحمد ٤/ ٩٣ و٩٥ و٩٥ و٩٨ و٩٩ و١٩١ ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ١/ ٥ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٨٣ ـ ٨٨) ، ولتمام الفائدة انظر : « مسند أبي يعلى » (٧٣٨١) .

(٢) الترمذي (٢٦٤٧) ، وأحمد ١/ ٣٠٦ ، والدارمي (٢٣١) و(٢٧٠٩) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ١/ ٣ ، وهو حديث صحيح .

١٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا الهيثم بن خارجة ، أخبرنا رشدين بن سعد ، عن عبد الله بن الوليد التُّجيبيِّ ، عن أبي حفص ، حدثه أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال النَّبيُّ ﷺ : « **إنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ يُوشِكُ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ** »[1] .

١٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا الحسن بن موسى ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، أن أبا الدرداء قال : مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدى بها .

١٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر أيضاً ، أخبرنا زهير بن محمد ، أنبأنا يعلى بن عبيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن عمه موسى بن يسار ، قال : بلغنا أن سلمان الفارسي كتب إلى أبي

---

(١) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ٧٠ ، فيه أبو حفص صاحب أنس ، وهو مجهول ، ورشيد بن سعدين ، واختلف في الاحتجاج به ، كما قال الهيثمي في « المجمع » ١/ ١٢١ .

الدرداء رضي الله عنه : إنَّ العِلمَ كالينابيع يغشاهُنَّ الناسُ ، فيختلجه هذا وهذا ، فينفع الله به غير واحد ، وإن حكمةً لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه ، وإن علماً لا يخرج ككنز لا يُنفق [منه] ، وإنما مثل العالم كمثل رجل حمل سِراجاً في طريق مظلم ، يستضيء به من مرَّ به ، وكل يدعو إلى الخير [1] .

قال محمد بن الحسين : فما ظنكم - رحمكم الله - بطريق فيه آفات كثيرة ، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء ، فإن لم يكن فيه ضياء وإلَّا تحيروا ، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم ، فسلكوه على السلامة والعافية . ثم جاءت طبقات من الناس لابدَّ لهم من السلوك فيه ، فسلكوا ، فبينما هم كذلك ، إذ طفئت المصابيح ، فبقوا في الظلمة ، فما ظنكم بهم ؟ هكذا العلماء في الناس ، لا يعلم كثير من الناس كيف أداءُ الفرائض ، وكيف اجتناب المحارم ، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقه إلَّا ببقاء العلماء ، فإذا مات العلماء تحير الناس ، ودرس العلم بموتهم ، وظهر الجهل ، فإنا لله وإنَّا إليه راجعون ! مصيبةٌ ما أعظمها على المسلمين !! .

---

(١) الدارمي (٥٦٣) ، في إسناده انقطاع بين موسى بن يسار ، وبين سلمان ، وفيه أيضاً محمد بن إسحاق قد عنعنه وهو مدلس .

١٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير ، أخبرنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا عطاء ابن محمد الحراني ، عن بعض أصحابه قال : قال كعب : عليكم بالعلم قبل أن يذهب ، فإنَّ ذهاب العلم موتُ أهله ، موت العالم نجمٌ طُمِسَ ، موت العالم كَسْرٌ لا يجبر ، وثُلمةٌ لا تُسَدُّ ، بأبي وأمي العلماء ، قال : أحسبه قال : قبلتي إذا لقيتهم ، وضالتي إذا لم ألقهم ، لا خير في الناس إلَّا بهم .

١٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر ، أخبرنا ابن أبي عمر ـ يعني محمداً العدني ـ أخبرنا سفيان ابن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً ، إنَّما يَقْبِضُ العُلمَاءَ ، حتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤسَاءَ جُهَّالاً ، فَسُئِلوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا »[١] .

---

(١) البخاري (١٠٠) و(٧٣٠٧) ، ومسلم (٢٦٧٣) ، والترمذي (٢٦٥٤).

٢٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا أحمد بن صالح ، أخبرنا عَنبسة ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزُّبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ لا يَنْزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ إِيَّاهُ ، وَلكِنَّهُ يَذْهَبُ بِالْعُلَمَاءِ ، فكُلَّمَا ذَهَبَ بِعَالِمٍ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ لا يَعْلَمُ فَيضِلُّونَ** »[١] .

٢١ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف ، أخبرنا ابن أبي عمر ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول : هل تدرون كيف ينقص الإسلام ؟ قالوا كيف ؟ قال : كما يَنْقُصُ الدَّابةَ سِمَنُها ، وكما ينقص الثوب عن طول اللُّبس ، وكما ينقص الدرهم عن طول الخبت ، وقد يكون في القبيلة عالمان ، فيموت أحدهما فيذهب نصف علمهم ، ويموت الآخر فيذهب علمهم كله[٢] .

---

(١) بمعناه مسلم (٢٦٧٣) (١٤) .

(٢) الطبراني في « الكبير » (٨٩٩١) ، ورجاله موثقون كما قال الهيثمي في « المجمع » ١/ ٢٠٢ .

٢٢ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكلي ، قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : [من المتقارب]

كَلامُ الحَكيمِ حَيَاةُ القُلُوبِ ... كوَبْلِ السَّماءِ غِيَاثِ الأُمَمْ

فَنُطْقُ الحَكيمِ جَلاءُ الظلامِ ... وصَمْتُ الحَكيمِ دُعَاءُ الحِكَمْ

حَياةُ الحَكيمِ جَلاءُ القُلُوبِ ... كضَوءِ النَّهارِ يُجَلِّي الظُّلَمْ

٢٣ ـ قال محمد بن الحسين : ورُوِي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : « تعلموا العلم ، فإنَّ تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، والأنيس في الوحشة ، والصاحب في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والزين عند الأخلاء ، والقرب عند الغرباء ، يرفع الله به أقواماً ، فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم ، وأئمة في الخلق تقتص آثارهم ، وينتهى إلى رأيهم ، وترغب الملائكة في حَفِّهِم بأجنحتها تمسحهم ، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر ، حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العَمى ، ونور الأبصار من

الظُّلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأحرار ، ومجالسة الملوك ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والفكرُ به يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عزَّ وجلَّ ، وبه يعبد الله عز وجل ، وبه توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، إمام العمل ، والعمل تابعه ، يُلهَمُه السعداء ، ويُحرَمُه الأشقياء[(١)] .

٢٤ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا المصري ، أخبرنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، عن عبد السلام ابن سليمان ، عن يزيد بن سمرة ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ للعَالِمِ كُلُّ شَيْءٍ ، حتَّى الحِيتَانُ في جَوْفِ البَحْرِ »[(٢)] .

---

(١) الديلمي في « مسند الفردوس » ٢/ ٥٩ ، وأبو نعيم في « الحلية » ١/ ٢٣٩ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٦٨) ، قال ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » ١/ ١٧٣ : لا يثبت مرفوعاً وحسبه أن يصل إلى معاذ ، وقال ١/ ٢٥٢ : روي مرفوعاً وموقوفاً والصواب أنه موقوف .

(٢) تقدم برقم (٧) .

٢٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ، أخبرنا حفص ابن عمر ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَا سَلَكَ عَبْدٌ طَرِيقاً يَقْتَبِسُ فِيهِ عِلْماً إِلَّا سَلَكَ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى عَنْهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ** »[1] .

٢٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا شيبان بن فروخ ، أخبرنا الصَّعِق بن حزن ، أخبرنا علي بن الحكم ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن حُبيش ، أخبرنا صفوان بن عسال المرادي ، قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إني جئت أطلب العلم فقال : « **مَرْحَباً يا طالِبَ العِلْمِ ، إنَّ طَالِبَ العِلْمِ لتَحُفُّهُ المَلائِكَةُ ، وتُظِلُّهُ**

---

(١) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ١/ ١٧ ، فيه حفص بن عمر البزار الشامي وهو مجهول ، وعثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف ، وانقطاع بين عطاء وأبي الدرداء ، وكان عطاء مرسلاً ، لكن الحديث صحيح بشواهده .

بأجْنِحَتِهَا ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُم بَعْضاً ، حتَّى يَبْلُغُوا سَماءَ الدُّنيا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ »[١] .

٢٧ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حُبيش قال : أتيت صفوان بن عسال المرادي ، فقال : ما جاء بك ؟ فقلت : جئت ابتغاء العلم ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِيَطْلُبَ العِلْمَ إلَّا وضَعَتْ لَهُ المَلائِكَةُ أجْنِحَتهَا رِضًى لِمَا يَصْنَعُ »[٢] .

---

(١) أحمد ٤/ ٢٤٠ ، والطبراني في « الكبير » ٨/ ٥٤ (٧٣٤٧) ، والحاكم ١/ ١٠٠ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٦٢) ، قال الهيثمي في « المجمع » ١/ ١٣١ : رجاله رجال الصحيح ، ولتمام الفائدة انظر « تخريج الموارد » (٧٩) .

(٢) عبد الرزاق في « مصنفه » (٧٩٣) ، وعنه ابن ماجه (٢٢٦) ، والدارقطني ١/ ١٩٦ ـ ١٩٧ ، وابن حبان (٨٥) « موارد » ، وابن خزيمة (١٩٣) ، وأحمد ٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، والبيهقي ١/ ٢٨٢ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٦٢) ، وهو حديث حسن .

٢٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز ، أخبرنا محمد بن الصباح الجرجرائي ، أخبرنا جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ علماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ** »[١] .

٢٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن العباس الواسطي ، أخبرنا نصر بن علي ، أخبرنا خالد بن يزيد ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله : « **مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، حَتَّى يَرْجِعَ** »[٢] .

٣٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، أخبرنا عَنْبسة بن

---

(١) مسلم (٢٦٩٩) ، وأبو داود (٣٦٤٣) ، والترمذي (٢٦٤٨) ، وأحمد ٢/ ٢٥٢ ، وابن ماجه (٢٢٥) .

(٢) الترمذي (٢٦٤٣) ، والطبراني في « الصغير » (٣٨٠) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٧١) ، وهو حديث ضعيف ، ولتمام الفائدة انظر : « الأحاديث الضعيفة » (٢٠٣٧) .

عبد الرحمن ، عن علَّاق بن أبي مسلم ، عن أبان بن عثمان ، عن أبيه عثمان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَشْفَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأنبياءُ ، ثُمَّ العُلَماءُ ، ثُمَّ الشُّهدَاءُ** »[١] .

٣١ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، أخبرنا شجاع بن مخلد ، أخبرنا عباد بن العوام ، أخبرنا هشام ، عن الحسن ، في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة : ٢٠١] قال : الحسنة في الدنيا : العلم ، والعبادة ، والجنة في الآخرة[٢] .

قال محمد بن الحسين : فالعلماء ، في كل حال لهم فضل عظيم في خروجهم لطلب العلم ، وفي مجالستهم لهم فيه فضل ، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل ، وفيمن تعلموا منه

---

(١) ابن ماجه (٤٣١٣) ، والعقيلي في « **الضعفاء** » ٣/ ٣٦٧ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٥٢) ، وفي إسناده عنبسة بن عبد الرحمن القرشي ، وهو متروك ، وعلاق بن أبي مسلم وهو مجهول .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٥٢) ، وهو حديث صحيح .

العلم لهم فيه فضل ، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل ، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة ، نفعنا الله وإياهم بالعلم .

٣٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ، أخبرنا صدقة بن خالد ، أخبرنا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال : « **عَلَيكُمْ بالعِلْمِ قَبْلَ أنْ يُقْبَضَ ، وقَبْلَ أنْ يُرْفَعَ** » ثم جمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ، وقال : « **العَالِمُ والمُتَعلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الأجرِ ، ولا خَيرَ في سَائرِ النَّاسِ بَعْدُ** »[1] .

٣٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أبي الدرداء قال : العالم والمتعلم في الأجر سواء ، وسائر الناس هَمَجٌ لا خيرَ فيهم[2] .

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٣٦ و١٣٧) ، وابن ماجه (٢٢٨) ، والطبراني في « الكبير » ٨/ ٢٦٢ ، وابن عدي في « الكامل » ٥/ ١٨١٣ ، وإسناده ضعيف .

(٢) أحمد في « الزهد » ص(١٣٦) ، وابن المبارك في « الزهد » (٥٤٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » ١/ ٢١٣ .

٣٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « **أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ : الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ الله ، وَمَنْ عَلَّمَ علماً أُجْرِيَ لَهُ مَا عُمِلَ بِهِ ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَجْرُهُ يَجْرِي ما جَرَتْ ، ورَجُلٌ تَرك أولاداً صِغَاراً فَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ** »[١] .

٣٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأُشنانيُّ ، أخبرنا الحسين بن علي بن الأسود العجليُّ ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا قيس بن الربيع ، أخبرنا شمر بن عطية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : معلم الخير ومتعلمه ، يستغفر لهم كل شيء ، حتى الحوت في البحر[٢] .

٣٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زياد بن أيوب ، أخبرنا هُشيمٌ ،

---

(١) أحمد ٥/ ٢٦١ و٢٦٩ ، والطبراني في « الكبير » (٧٨٣١) ، وهو حديث حسن بمجموع طرقه .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٨١) و (٧٩٦) ، والدارمي (٣٥٠) ، وهو حديث صحيح .

أخبرنا سيار ، عن الشعبي قال : قال عبد الله بن مسعود: إنَّ معاذاً كان أُمَّةً قانتاً ، قيل له : إنَّ إبراهيم كان أُمَّةً قانتاً ، قال : فقال عبد الله : إنَّا كُنَّا نُشَبِّهُ مُعاذاً بإبراهيم قال : قيل له : فما القانت ؟ قال : المطيع لله ولرسوله[1] .

٣٧ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزيُّ ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا الحسن بن ذكوان ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ مِنَ الصَّدَقةِ أنْ تَتعلَّمَ ، ثُمَّ تُعلِّمَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهَ عزَّ وجلَّ** »[2] .

قال محمد بن الحسين : قد اختصرت من فضل العلماء ، وما خصَّهم الله عزَّ وجلَّ به على سائر المؤمنين ما فيه بلاغ لمن تدبره ، فألزم نفسه الطلب للعلم ليكون معهم ، وذلك بتوفيق الله عزَّ وجلَّ .

فإن قال قائل : من علم العلم وحفظه وناظر فيه ، يدخل في هذا الفضل الذي ذكرت .

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ١/ ٢٣٠ .

(٢) حديث مرسل ، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف .

قيل له : أرجو أن لا يُخليَ الله كلَّ مسلم طلب الخير والعلم من خيره الذي وعد به العلماء ، ولكن قد ذكرت لهم أوصاف وأخلاق فنحن نذكرها ، فمن تدبرها من أهل العلم رجع إلى نفسه ، فإن كان منهم شكر الله عزَّ وجلَّ على ما خصَّه به ، وإن لم تكن أوصافه منهم ، وكان مِمَّن علمه حجةٌ عليه ، استغفر الله عزَّ وجلَّ ، ورجع إلى الحق من قريب ، والله ولي التوفيق .

* * *

باب أوصاف العلماء
الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة

قال محمد بن الحسين : لهذا العالم صفات وأحوال شتى ومقامات لابدَّ له من استعمالها ، فهو مستعمل في كل حال ما يجب عليه . فله صفة في طلبه للعلم : كيف يطلبه ، وله صفة في كثرة العلم إذا كثر عنده : ما الذي يجب عليه فيه فيلزمه نفسه .

وله صفة إذا جالس العلماء : كيف يجالسهم ، وله صفة إذا تعلم من العلماء كيف يتعلم ، وله صفة كيف يعلم غيره ، وله صفة إذا ناظر في العلم كيف يناظر ، وله صفة إذا أفتى الناس كيف يفتي ، وله صفة كيف يجالس الأمراء إذا ابتلي بمجالستهم ، ومن يستحق أن يجالسه ومن لا يستحق ، وله صفة عند معاشرته لسائر الناس ممَّن لا علم معه ، وله صفة كيف يعبد الله عز وجل فيما بينه وبينه ؟

وقد أعد لكل حق يلزمه ما يقويه على القيام به ، وقد أعد لكل نازلة ما يسلم به من شرها في دينه ، عالم بما يجتلب به الطاعات ، عالم بما يدفع به البليات ، قد اعتقد الأخلاق السنية ، واعتزل الأخلاق الدَّنِيَّةِ .

ذكر صفته
في طلب العلم

فمن صفته لإرادته في طلب العلم أن يعلم أن الله عزَّ وجلَّ فرض عليه عبادته ، والعبادة لا تكون إلَّا بعلم ، وعلم أن العلم فريضة عليه ، وعلمَ أن المؤمن لا يحسن به الجهل ، فطلب العلم لينفي عن نفسه الجهل ، وليعبد الله عزَّ وجلَّ كما أمره ، ليس كما تهوى نفسه ، فكان هذا مراده في السعي في طلب العلم ، معتقداً للإخلاص في سعيه ، لا يرى لنفسه الفضل في سعيه ، بل يرى لله عزَّ وجلَّ الفضل عليه ، إذ وفَّقه لطلب علم ما يعبده به ، من أداء فرائضه ، واجتناب محارمه .

* * *

ذكر صفته
في مشيه إلى العلماء

يمشي برفق وحلم ووقار وأدب ، مكتسب في مشيه كل خير ، تارة يحب الوحدة ، فيكون للقرآن تالياً ، وتارة بالذكر مشغولاً ، وتارة يُحدِّثُ نفسه بنعم الله عزَّ وجلَّ عليه ، ويقتضي منها الشكر ، ويستعيذ بالله من شرِّ سمعه وبصره ولسانه ونفسه وشيطانه . فإن بلي بمصاحبة الناس في طريقه ، لم يصاحبْ إلَّا من يعود عليه نفعه .

قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة : إمَّا رجل يتعلم منه خيراً إن كان أعلم منه ، أو رجل هو مثله في العلم فيذاكره العلم لئلّا ينسى ما لا ينبغي أن ينساه ، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه يريد الله عزَّ وجلَّ بتعليمه إياه ، لا يمل من أصحابه لكثرة صحبة ، بل يحب ذلك لما يعود عليه من بركته ، قد شغل نفسه بهذه الخصال ، خائف على نفسه أن يشتغل بغير الحق ، قد أجمع الحذر من عدوه الشيطان ، كراهية أن يزين له قبيح ما نُهي عنه ، يكثر الاستعاذة بالله من علم لا ينفع ، ويسأله علماً نافعاً ، همُّهُ في تلاوة

كلام الله عزَّ وجلَّ الفهم عن الله فيما أمر ونهى ، وفي حفظ السنن والآثار والفقه لئلّا يضيع ما أمر به ، ولأن يتأدب بالعلم .

طويل السكوت عمَّا لا يعنيه حتى يشتاق جليسه إلى حديثه ، إن ازداد علماً خاف من ثبات الحجة ، فهو مشفق في علمه ، كلما ازداد علماً ازداد إشفاقاً .

إن فاته سماع علم قد سمعه غيره فحزن على فوته ، لم يكن حزنه بغفلة حتى يواقف نفسه ، ويحاسبها على الحزن ، فيقول : لم حزنت ؟ احذري يا نفس أن يكون الحزن عليك ، لا لك ، إذا سمعه غيرك فلم تسمعيه أنت ، فكان أولى بك أن تحزني على علم قد قرع السمع ، وقد ثبتت عليكِ به الحجة ، فلم تعملي به ، فكان حزنُك على ذلك أولى من حزنك على علم لم تسمعيه ، ولعلك لو قدر لك سماعه كانت الحجة عليك أوكد ، فاستغفر الله من حزنه ، وسأل مولاه الكريم أن ينفعه بما قد سمع .

* * *

صفة مجالسته للعلماء

فإذا أحب مجالسة العلماء جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عن صوتهم، وسألهم بخضوع، ويكون أكثر سؤاله عن علم ما تَعَبَّدَ الله به، ويخبرهم أنه فقير إلى علم ما يسأل عنه، فإذا استفاد منهم علماً أعلمهم أني قد أفدتُ خيراً كثيراً، ثم شكرهم على ذلك.

وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم، ونظر إلى السبب الذي من أجله غضبوا عليه، فرجع عنه، واعتذر إليهم.

لا يُضْجِرُهُمْ في السؤال، رفيق في جميع أموره، لا يناظرهم مناظرة من يُرِيهم أني أعلم منكم، وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم، مع حسن التلطف لهم، لا يجادل العلماءَ، ولا يُماري السفهاءَ، يحسن التأنّي للعلماء مع توقيره لهم، حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهماً في دينه.

* * *

صفته إذا عرف بالعلم

فإذا نشر الله له الذكر عند المؤمنين أنه من أهل العلم ، واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم ، ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم ، فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم ، فإنها محبة تنبت له في قلوبهم ، وأحبوا قربه ، وإذا غاب عنهم حنت إليه قلوبهم .

وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه إذ أراه العلم ذلك ، وأما تواضعه لمن هو دونه في العلم فشرف العلم له عند الله ، وعند أولي الألباب ، وكان من صفته في علمه وصدقه وحسن إرادته ، يريد الله بعلمه ، فمن صفته أنه لا يطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك ، ولا يحمله إليهم ، صائن للعلم إلَّا عن أهله ، ولا يأخذ على العلم ثمناً ، ولا يستقضي به الحوائج ، ولا يقرب أبناء الدنيا ، ويباعد الفقراء ، ويتجافى عن أبناء الدنيا ، يتواضع للفقراء والصالحين ليفيدهم العلم ، وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم ، ألزم نفسه حسن المداراة لمن جالسه ، والرفق بمن

ساءله ، واستعمال الأخلاق الجميلة ، ويتجافى عن الأخلاق الدَّنِيَّة .

فأما أخلاقه مع مجالسيه : فصبور على من كان ذهنه بطيئاً عن الفهم حتى يفهم عنه ، صبور على جفاء من جهل عليه حتى يرده بحلم ، يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب ، لا يدعهم يخوضون فيما لا يعنيهم ، ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم . فإن تخطى أحدهم إلى خلق لا يحسن بأهل العلم ، لم يجبه في وجهه على جهة التبكيت له . ولكن يقول : لا يحسن بأهل العلم والأدب كذا وكذا ، وينبغي لأهل العلم أن يتجافوا عن كذا وكذا ، فيكون الفاعل لخلق لا يحسن قد علم أنه المراد بهذا ، فيبادر برفقه به ، إن سأله منهم سائل عما لا يعنيه ردّه عنه ، وأمره أن يسأل عمَّا يعنيه ، فإذا علم أنهم فقراء إلى علم قد أغفلوه عنه أبداه إليهم ، وأعلمهم شدة فقرهم إليه .

لا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله ، ولا يزجره فيضع من قدره ، ولكن يبسطه في المسألة ليَجْبُرهُ فيها ، قد علم بغيته عمّا يعنيه ، ويحثه على طلب علم الواجبات ، من علم أداء

فرائضه واجتناب محارمه . يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه ، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمِرَاءَ ، يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة ، يسكت عن الجاهل حلماً ، وينشر الحكمة نصحاً ، فهذه أخلاقه لأهل مجلسه وما شاكل هذه الأخلاق .

وأما ما يستعمل مع من يسأله عن العلم والفتيا ، فإن من صفته إذا سأله سائل عن مسألة ، فإن كان عنده علم أجاب ، وجعل أصله أن الجواب من كتاب أو سنة أو إجماع ، فإذا أوردت عليه مسألة قد اختلف فيها أهل العلم اجتهد فيها ، فما كان أشبه بالكتاب والسنة والإجماع ، ولم يخرج به من قول الصحابة وقول الفقهاء بعدهم قال به ، إذا كان موافقاً لقول بعض الصحابة وقول بعض أئمة المسلمين ، قال به ؛ وإن كان رآه مما يخالف به قول الصحابة وقول فقهاء المسلمين حتى يخرج عن قولهم لم يقل به ، واتَّهم رأيه ، ووجب عليه أن يسأل من هو أعلم منه أو مثله ، حتى ينكشف له الحق ، ويسأل مولاه أن يوفقه لإصابة الخير والحق .

وإذا سئل عن علم لا يعلمه لم يستح أن يقول : لا أعلم . وإذا سئل عن مسألة فعلم أنها من مسائل الشَّغب ، وممَّا يورث بين المسلمين الفتنة استعفى منها ، وردَّ السائل إلى ما هو أولى به ، على أرفق ما يكون ، وإن أفتى بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستنكف أن يرجع عنها ، وإن قال قولاً فردَّه عليه غيرُه ممن هو أعلم منه أو مثله أو دونه فعلم أنَّ القول كذلك ، رجع عن قوله ، وحمده على ذلك وجزاه خيراً .

وإن سئل عن مسألة اشتبه القول عليه فيها ، قال : سلوا غيري ، ولم يتكلف ما لا يتقرر عليه ، يحذر من المسائل المحدثات في البدع ، لا يُصغي إلى أهلها بسمعه ، ولا يرضى بمجالسة أهل البدع ، ولا يماريهم ، أصله الكتاب والسنة ، وما كان عليه الصحابة ، ومن بعدهم من التابعين ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين .

يأمر بالاتِّباع ، وينهى عن الابتداع ، لا يجادل العلماء ، ولا يماري السفهاء ، همُّه في تلاوة كلام الله الفهم ، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه لئلّا يضيع ما لله عليه ، وليعلم كيف يتقرب إلى مولاه ، مذكر للغافل ، معلم للجاهل ، يضع الحكمة عند أهلها ،

ويمنعها من ليس بأهلها ، مثله مثل الطبيب يضع الدواء بحيث يعلم أنه ينفع .

فهذه صفته وما يشبه هذه الأخلاق الشريفة ، إذ كان الله عزَّ وجلَّ قد نشر له الذكر بالعلم في قلوب الخلق ، فكلما ازداد علماً ازداد لله تواضعاً ، يطلب الرفعة من الله عز وجل ، مع شدة حذره من واجب ما يلزمه من العلم .

* * *

ذكر
صفة مناظرة هذا العالم

إذا احتاج إلى مناظرة قال محمد بن الحسين : اعلموا ـ رحمكم الله ووفقنا وإياكم للرشاد ـ أن من صفة هذا العالم العاقل الذي فقهه الله في الدِّين ، ونفعه بالعلم أن لا يجادل ، ولا يماري ، ولا يغالب بالعلم إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافي ، وذلك يحتاج في وقت من الأوقات إلى مناظرة أحد من أهل الزيغ ، ليدفع بحقه باطل من خالف الحق ، وخرج عن جماعة المسلمين ، فتكون غلبته لأهل الزيغ تعود بركة على المسلمين ، على جهة الاضطرار إلى المناظرة ، لا على الاختيار ؛ لأن من صفة العالم العاقل أن لا يجالس أهل الأهواء ، ولا يجادلهم ، فأما في العلم والفقه وسائر الأحكام فلا .

فإن قال قائل : فإن احتاج إلى علم مسألة قد أشكل عليه معرفتها ، لاختلاف العلماء فيها ، لابد له أن يجالس العلماءَ ويناظرهم ، حتى يعرف القول فيها على صحته ، وإن لم يناظر لم تقو معرفته .

قيل له : بهذه الحجة يدخل العدو على النفس المتبعة للهوى ، فيقول : إن لم تناظر وتجادل لم تفقه ، فيجعل هذا سبباً للجدال والمراء المنهي عنه ، الذي يخاف منه سوء عاقبته ، الذي حذرناه النبي ﷺ ، وحذرناه العلماء من أئمة المسلمين .

٣٨ ـ وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « **مَنْ تَركَ المِرَاءَ وهُوَ صَادِقٌ ، بَنى اللهُ لَهُ بَيْتاً في وسَطِ الجَنَّةِ** »[١] .

٣٩ ـ وعن مسلم بن يسار ، أنه كان يقول : إياكم والمراء ، فإنها ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته[٢] .

٤٠ ـ وعن الحسن قال : ما رأينا فقيهاً يماري[٣] .

وعن الحسن أيضاً قال : المؤمن يداري ولا يماري ، ينشر حكمة الله ، فإن قبلت حمد الله ، وإن ردَّت حمد الله .

---

(١) أبو داود (٤٨٠٠) ، بلفظ : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ، وإن كان محقاً ... » وهو حديث حسن ، ولتمام الفائدة انظر : « الأحاديث الصحيحة » (٢٧٣) .

(٢) المصنف رحمه الله في « الشريعة » ص(٦١) ، والدارمي (٤٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٢/ ٢٩٤ ، وإسناده صحيح .

(٣) زوائد الزهد لابن المبارك (٣٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٧/ ٢٧٠ .

٤١ ـ وروي عن معاذ بن جبل أنه قال : إذا أحببت أخاً فلا تُمارِه ، ولا تُشارَّه ، ولا تُمازحه[١] .

قال محمد بن الحسين : وعند الحكماء : أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ، ويورث التفرقة بعد الألفة ، والوحشة بعد الأنس .

٤٢ ـ وعن أبي أمامة ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدىً كَانُوا عَلَيهِ إلَّا أُوتُوا الجَدَلَ** »[٢] .

فالمؤمن العالم العاقل يخاف على دينه من الجدل والمراء .

فإن قال قائل : فما يصنع في علم قد أشكل عليه ؟

قيل له : إذا كان كذلك ، وأراد أن يستنبط علم ما أشكل عليه ، قصد إلى عالم ممن يعلم أنه يريد بعلمه الله ممن يرتضي

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٥/ ١٣٦ ، وقال : غريب ، من حديث جبير بن نفير عن معاذ متصلاً ، وأرسله غير ابن وهب عن معاوية . قوله : ولا تشارَّه : أي : لا تخاصمه .

(٢) الترمذي (٣٢٥٠) ، وابن ماجه (٤٨) ، وأحمد ٥/ ٢٥٢ و٢٥٦ ، والبيهقي في « الشعب » (٨٤٣٨) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ١/ ٢٣٠ و٢٣١ ، وصححه الحاكم ٢/ ٤٤٨ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

علمه وفهمه وعقله ، فذاكره مذاكرة من يطلب الفائدة ، وأعلمه : أن مناظرتي إياك مناظرة من يطلب الحق ، وليست مناظرة مغالب ، ثم ألزم نفسه الإنصاف له في مناظرته ، وذلك أنه واجب عليه أن يحب صواب مناظره ، ويكره خطأه ، كما يحب ذلك لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ، ويعلمه أيضاً : إن كان مرادك في مناظرتي أن أُخطئ الحق ، وتكون أنت المصيب ، ويكون أنا مرادي أن تُخطئ الحق وأكون أنا المصيب ، فإن هذا حرام علينا فعله ، لأن هذا خلق لا يرضاه الله منا ، وواجب علينا أن نتوب من هذا .

فإن قال : فكيف نتناظر ؟ قيل له : مناصحة ، فإن قال : كيف المناصحة ؟ أقول له : لما كانت مسألة فيما بيننا ، أقول أنا : إنها حلال ، وتقول أنت : إنها حرام ، فحكمنا جميعاً أن نتكلم فيها كلام من يطلب السلامة ، مرادي أن ينكشف لي على لسانك الحق ، فأصير إلى قولك ، أو ينكشف لك على لساني الحق ، فتصير إلى قولي مما يوافق الكتاب والسنة والإجماع ، فإن كان هذا مرادنا رجوت أن تحمد عواقب هذه المناظرة ، ونوفق للصواب ، ولا يكون للشيطان فيما نحن فيه نصيب .

ومن صفة هذا العالم العاقل : إذا عارضه في مجلس العلم والمناظرة بعض من يعلم أنه يريد مناظرته للجدل والمراء والمغالبة ، لم يسعه مناظرته ، لأنه قد علم أنه إنما يريد أن يدفع قوله ، وينصر مذهبه ، ولو أتاه بكل حجة مثلها يجب أن يقبلها ، لم يقبل ذلك ، ونصرَ قوله .

ومن كان هذا مراده لم تؤمن فتنته ، ولم تحمد عواقبه . ويقال لمن مراده في المناظرة المغالبة والجدل : أخبرني إذا كنت أنا حجازياً ، وأنت عراقياً ، وبيننا مسألة على مذهبي ، أقول : إنها حلال ، وعلى مذهبك إنها حرام ، فسألتني المناظرة لك عليها ، وليس مرادك في مناظرتك الرجوع عن قولك ، والحق عندك أن أقول فيها قولك ، وكان عندي أنا أن أقول ، وليس مرادي في مناظرتي الرجوع عمَّا هو عندي ، وإنما مرادي أن أرد قولك ، ومرادك أن ترد قولي ، فلا وجه لمناظرتنا ، فالأحسن بنا السكوت على ما تعرف من قولك ، وعلى ما أعرف من قولي ، وهو أسلم لنا وأقرب إلى الحق الذي ينبغي أن نستعمله .

فإن قال : وكيف ذلك ؟ قيل : لأنك تريد أن أخطئَ الحق ، وأنت على الباطل ، ولا أوفق للصواب ، ثم تُسَرّ بذلك ، وتبتهج

به ، ويكون مرادي فيك كذلك ، فإذا كنا كذلك ، فنحن قوم سوء ، لم نوفق للرشاد ، وكان العلم علينا حجة ، وكان الجاهل أعذر منا .

قال محمد بن الحسين : وأعظم من هذا كله أنه ربما احتج أحدهما بسنة رسول الله ﷺ على خصمه ، فيردها عليه بغير تمييز ، كل ذلك يخشى أن تنكسر حجته ، حتى أنه لعله أن يقول بسنةٍ عن رسول الله ﷺ ثابتة ، فيقول : هذا باطل ، وهذا لا أقول به ، فيرد سنة رسول الله ﷺ برأيه بغير تمييز .

ومنهم من يحتج في مسألة بقول صحابي ، فيرد عليه خصمه ذلك ، ولا يلتفت إلى ما يحتج عليه ، كلُّ ذلك نصرة منه لقوله ، لا يبالي أن يرد السنن والآثار .

قال محمد بن الحسين : من صفة الجاهل ، الجدل ، والمراء ، والمغالبة ، ونعوذ بالله ممن هذا مراده .

ومن صفة العالم العقل : المناصحة في مناظرته ، وطلب الفائدة لنفسه ولغيره ، كثَّر الله في العلماء مثل هذا ، ونفعه بالعلم ، وزينه بالحلم .

ذكر أخلاق هذا العالم
ومعاشرته لمن عاشره من سائر الخلق

قال محمد بن الحسين : من كانت صفاته في علمه ما تقدم ذكرنا له من أخلاقه ـ والله أعلم ـ أن يأمن شره من خالطه ، ويأمل خيره من صاحبه ، لا يؤاخذ بالعثرات ، ولا يشيع الذنوب عن غيره ، ولا يقطع بالبلاغات ، ولا يفشي سر من عاداه ، ولا ينتصر منه بغير حق ، ويعفو ويصفح عنه ، ذليل للحق ، عزيز عن الباطل ، كاظم للغيظ عمَّن آذاه ، شديد البغض لمن عصى مولاه ، يجيب السفيه بالصمت عنه ، والعالم بالقبول منه ، لا مداهن ولا مشاحن ، ولا مختال ، ولا حسود ، ولا حقود ، ولا سفيه ، ولا جاف ، ولا فظ ، ولا غليظ ، ولا طعان ، ولا لعان ، ولا مغتاب ، ولا سبَّاب ، يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه ، ونهاه عما يكره مولاه ، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره ، إبقاء على دينه ، سليم القلب للعباد من الغل والحسد ،

يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر ، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد ، يداري جهل من عامله برفقه ، إذا تعجب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر فيما بينه وبين ربه عزَّ وجلَّ ، لا يتوقع له بائقة ، ولا يخاف منه غائلة ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في جهد .

* * *

ذكر أخلاق هذا العالم وأوصافه
فيما بينه وبين ربه عز وجل

قال محمد بن الحسين : جميع ما تقدم ذكرنا له مما ينبغي للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة ، كلها تجري له بتوفيق من مولاه الكريم ، ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا كان استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين ربِّه عزَّ وجلَّ ، أعظم شأناً مما ذكرت ، مما قد أوصله مولاه الكريم إلى قلبه ، يمتعه بها شرفاً له بما خصَّه من علمه ، إذ جعله وارث علم الأنبياء ، وقرة عين الأولياء ، وطبيباً لقلوب أهل الجفاء .

فمن صفته أن يكون لله شاكراً ، وله ذاكراً ، دائم الذكر بحلاوة حُب المذكور ، مُنْعَمٌ قلبه بمناجاة الرحمن ، يعد نفسه مع شدة اجتهاده خاطئاً مذنباً ، ومع الدؤوب على حسن العمل مقصراً ، لجأ إلى الله عزَّ وجلَّ فقوي ظهره ، ووثق بالله فلم يخف غيره ، مستغن بالله عن كل شيء ، ومفتقر إلى الله في كل شيء ، أُنسه بالله وحده ، ووحشته ممن يشغله عن ربه ، إن ازداد علماً

خاف توكيد الحجة ، مشفق على ما مضى من صالح عمله أن لا يقبل منه ، همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه ، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه ، لئلا يضيع ما أُمر به ، متأدب بالقرآن والسنَّة ، لا ينافس أهل الدُّنيا في عزِّها ، ولا يجزع من ذلِّها ، يمشي على الأرض هوناً بالسكينة والوقار ، ومشتغل قلبه بالفهم والاعتبار ، إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عنده عظيمة ، وإن أطاع الله عزَّ وجلَّ بغير حضور فهم فخسران عنه مبين .

يذكر الله مع الذاكرين ، ويعتبر بلسان الغافلين ، عالم بداء نفسه ، ومتهم لها في كلِّ حال ، اتسع في العلوم ، فتراكمت على قلبه الفهوم ، فاستحى من الحي القيوم ، وشغله بالله ، في جميع سعيه متصل ، وعن غيره منفصل .

فإن قال قائل : فهل لهذا النعت الذي نعت به العلماء ، ووصفتهم به أصل في القرآن أو السنة ، أو أثر عمَّن تقدم ؟

قيل له : نعم ، وسنذكر منه ما يدل على ما قلنا إن شاء الله .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا

لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧-١٠٩].

أفلا ترى - رحمك الله - كيف وصف العلماء بالبكاء والخشية والطاعة والتذلل فيما بينه وبينهم .

٤٣ - **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة ، أخبرنا أسامة ، عن مسعر ، قال : سمعت عبد الأعلى التيمي يقول : من أوتي من العلم ما لا يُبكيه ، فخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه ، لأنَّ الله عز وجل نعت العلماء وقرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء : ١٠٧] إلى قوله : ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء : ١٠٩][(١)] .

٤٤ - **أخبرنا** أبو بكر ، حدثني عمر بن أيوب السقطي ، أخبرنا أبو همام ، أخبرنا جعفر بن عون ، أخبرنا أبو عميس ، عن عون ابن عبد الله ، قال : قال عبد الله بن مسعود : منهومان لا يشبعان :

---

(١) الدارمي (٢٩٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٢٠٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٥/ ٨٨ ، وابن المبارك في « الزهد » (١٢٥) ، وإسناده صحيح .

صاحب العلم ، وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، أما صاحب العلم ، فيزداد رضا الله ، وأما صاحب الدنيا فيزداد في الطغيان . قال : ثم قرأ عبد الله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ثم قرأ للآخر : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧][١] .

٤٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، أخبرنا قطن بن نسير ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن مطر الوراق ، في قول الله عز وجل : ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال : بلغنا أن الحكمة خشية الله ، والعلم به[٢] .

٤٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي ، أخبرنا محمد بن بكار ، أخبرنا عبيدة بن

---

(١) الدارمي (٣٣٩) ، عون بن عبد الله بن عتبة أرسل عن ابن مسعود ، وهو مرسل ، لكن وصله الطبراني في « الكبير » (١٠٣٨٨) ، وإسناده ضعيف . وفي الباب عن ابن عباس وأنس وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم . فبمجموعها يقوى ، والله أعلم .

(٢) انظر : « تفسير الطبري » ٣/ ٦٠ ـ ٦١ .

حميد ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، قال : قال مسروق : بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله ، وبحسب امرئ من الجهل أن يعجب بعلمه[١] .

٤٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن زنجويه ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا الأوزاعي ، قال : سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : العالم من خشي الله ، وخشية الله الورع[٢] .

٤٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن زاطيا ، أخبرنا عبيد الله بن عمر القواريري ، أخبرنا حماد بن زيد قال : سمعت أيوب يقول : ينبغي للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعاً لله عزَّ وجلَّ[٣] .

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٢/ ٩٥ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٩٦٢) ، والدارمي (٣٢٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٤٦) و(٨٤٨) ، وإسناده صحيح موقوفاً .

(٢) أبو نعيم في « الحلية » ٣/ ٦٨ ، من طريق محمد بن خالد عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير .

(٣) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١١٣ .

٤٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي ، أخبرنا أبو بكر بن زنجويه ، أخبرنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن زائدة ، عن هشام ، عن الحسن قال : إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تَخشُّعِهِ وبصره ولسانه ويده وزهده ، وإن كان الرجل ليطلب الباب من أبواب العلم ، فيعمل به ، فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها ، لو كانت له لجعلها في الآخرة[١] .

٥٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو سعيد المُفضَّلُ بن محمد اليماني ـ في المسجد الحرام ـ أخبرنا محمد بن ميمون الخياط ، قال : سمعت ابن عيينة يقول : إذا كان نهاري نهار سفيه ، وليلي ليل جاهل ، فما أصنع بالعلم الذي كتبت[٢] .

٥١ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، أخبرنا

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٧٣) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٩) ، وابن أبي شيبة ١٣/ ٥٠١ ، وأحمد في « الزهد » ص(٢٦١) ، وإسناده ضعيف .

(٢) أبو نعيم في « الحلية » ٧/ ٢٧١ .

أبو بدر ، أخبرنا زياد بن خيثمة ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ألا أنبئكم بالفقيه حقَّ الفقيه ؟ من لم يُقنِّطِ الناس من رحمة الله ، ولم يُرخص لهم في معاصي الله ، ولم يُؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن [رغبة عنه] إلى غيره ، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه ، ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم ، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر(١) .

٥٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا هارون الحمال ، أخبرنا سيار ، أخبرنا جعفر ابن سليمان ، أخبرنا مطر الوراق ، قال : سألت الحسن عن مسألة ، فقال فيها ، فقلت : يا أبا سعيد ! يأبى عليك الفقهاء ويخالفونك ، فقال : ثكلتك أمك مطر ، وهل رأيت فقيهاً قط ؟ وهل تدري ما الفقيه ؟ الفقيه الورع الزاهد الذي لا يسخر ممن

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ١/ ٧٧ ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٦١ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٥١٠) ، والدارمي (٣٠٣) و(٣٠٤) ، وإسناده ضعيف . انظر « الأحاديث الضعيفة » (٧٣٤).

أسفل منه ، ولا يهمز من فوقه ، ولا يأخذ على علم علمه الله حطاماً[١] .

٥٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا عمر بن أيوب السَّقطيُّ ، أخبرنا الحسن بن عرفة ، أخبرنا المبارك بن سعيد ، عن أخيه ، سفيان الثوري ، عن عمران المنقري قال : قلت للحسن يوماً في شيء قاله : يا أبا سعيد ! ليس هكذا يقول الفقهاء ، قال : فقال : ويحك أوَ رأيت أنت فقيهاً قط ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير في أمر دينه ، المداوم على عبادة الله عزَّ وجلَّ[٢] .

٥٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا الحكم ، عن موسى بن أبي كردم « كذا » ، وقال غيره : ابن أبي درم ، عن وهب بن مُنَبِّه قال : بلغ ابن عباس عن

---

(١) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٦٢ .

(٢) الدارمي (٣٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٢/ ١٤٧ ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٠٣٧) ، وإسناده صحيح .

مجلس كان في ناحية بني سهم ، يجلس فيه ناس من قريش يختصمون ، فترتفع أصواتهم ، فقال ابن عباس : انطلق بنا إليهم ، فانطلقنا حتى وقفنا ، فقال ابن عباس : أخبرهم عن كلام الفتى الذي كلم به أيوب في حاله . قال وهب : فقلت : قال الفتى : يا أيوب ، أما كان في عظمة الله ، وذكر الموت ، ما يكلُّ لسانك ، ويقطع قلبك ، ويكسر حجتك ؟ يا أيوب ، أما علمت أن لله عبادا أسكتتهم خشية الله من غير عيٍّ ، ولا بكم ، وإنهم هم النبلاء الفصحاء الطلقاء الألباء العالمون بالله وآياته ، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت قلوبهم وكلَّت ألسنتهم ، وطاشت عقولهم وأخلاقهم فرقاً من الله وهيبة له ، وإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عزَّ وجلَّ بالأعمال الزاكية ، لا يستكثرون لله كثيراً ، ولا يرضون له بالقليل ، يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين ، وإنهم لأنزاه أبرار ، ومع المضيعين المفرطين ، وإنهم لأكياس أقوياء ، ناحلون ، دائبون ، يراهم الجاهل فيقول : مرضى ، وليسوا بمرضى ، قد خولطوا ، وقد خالط القوم أمر عظيم[١] .

---

(١) ابن المبارك في « الزهد » (١٤٩٥) .

قال محمد بن الحسين : هذه الأخبار تدل على ما وصفنا به العلماء والفقهاء ، فإن قال قائل : ولِمَ داخل العلماء هذا الإشفاق الشديد ، وخافوا من علمهم هذا الخوف كله ؟

قيل له : علموا أن الله عز وجل يسائلهم عن علمهم ما عملوا فيه ؟ فجعلوا مساءلة الله نصب أعينهم ، فألزموا أنفسهم شدة الحذر ، وأخذوا بالثقة في كل أمرهم .

إن قال قائل : فإن العلماء يسألون عن علمهم : ما عملوا فيه ؟ قيل : نعم ، فإن قال : فاذكر من ذلك ما إذا سمعه العالم انتبه من رقدته ، وأخذ نفسه بلزوم أخلاق من ذكرت ، والله موفقنا قيل : نعم ، إن شاء الله تعالى .

* * *

باب
ذكر سؤال الله لأهل العلم
عن علمهم ماذا عملوا فيه

٥٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليماني ـ في المسجد الحرام ـ أخبرنا صامت بن معاذ ، أخبرنا عبد الجميد [بن عبد العزيز بن أبي رواد] ، عن سفيان الثوري ، عن صفوان بن سليم ، عن عدي بن عدي الصُّنابحي ، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وعَنْ شَبابِهِ فِيمَا أبلاهُ ، وعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَينَ اكْتَسَبَهُ ، وفِيمَا أَنفَقَهُ ، وعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ** »[1] .

٥٦ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي ، أخبرنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة ، قالا : أخبرنا

---

(١) الخطيب في « اقتضاء العلم العمل » ص(١٦٠) رقم (٢) ، وفي « التاريخ » ١١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢ ، والطبراني في « الكبير » ٢٠/ ١١ (٦٠ ـ ٦١) ، والبيهقي في « الشعب » (١٧٨٥) ، والبزار (٣٤٣٧) ، وهو حديث صحيح يشهد له الحديث التالي .

الأسود بن عامر ، عن أبي بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد الله بن جريج ، عن أبي برزة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حتَّى يُسْأَلَ عن أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أفناهُ ، وعَنْ عَلمهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ** ... »[1] ، وذكر باقي الحديث .

٥٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا محمد بن بكار القيسيُّ ، أخبرنا أبو محصن حصين بن نمير ، عن حسين بن قيس ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، عن ابن مسعود ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « **لا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسِ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِكَ فِيمَا أَفْنَيْتَ ، وَعَنْ شَبَابِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَ ، وَعَنْ مَالِكَ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَ ؟ وَفِيمَا أَنْفَقْتَ ، وَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ** »[2] .

---

(١) الدارمي (٥٤٣) ، والترمذي (٢٤١٩) ، والخطيب في « اقتضاء العلم العمل » (١٦٠) رقم (١) ، وأبو نعيم في « الحلية » ١٠/ ٢٣٢ ، وأبو يعلى (٧٤٣٤) ، وهو حديث صحيح .

(٢) الترمذي (٢٤١٨) ، والخطيب في « التاريخ » ١٢/ ٤٤٠ ، والطبراني في « الصغير » (٧٦٠) ، وأبو يعلى (٥٢٧١) ، وفي إسناده الحسين بن قيس ، وهو متروك ، ويشهد له الحديث السابق .

٥٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، وشيبان بن فروخ ، قالا : أخبرنا أبو عوانة ، أخبرنا هلال ابن أبي حميد ، وقال قتيبة : عن هلال الوزان ، عن عبد الله بن عكيم قال : سمعت ابن مسعود ، في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ بدأ باليمين قبل أن يحدثنا ، فقال : والله ما منكم من أحد إلا وإن ربه سيخلو به ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول : يا ابن آدم ، ما غرَّك بي ـ ثلاث مرار ـ ، ماذا أجبت المرسلين ؟ كيف عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ[١] ؟

٥٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال قال : قال أبو الدرداء : إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال : قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت[٢] .

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٢٠٠) ، وأحمد في « الزهد » ص(١٣) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » ١/ ١٣١ ، وهو أثر صحيح موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٢٠١) ، وأحمد في « الزهد » ص(١٣٦) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » ١/ ٢١٣ ، وهو أثر صحيح .

٦٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا بندار محمد بن بشار ، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن حبيب بن عبيد قال : قال أبو الدرداء : لا تكون عالماً حتى تكون بالعلم عاملاً[١] .

٦١ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصَّندليُّ ، أخبرنا حسن الزعفرانيُّ ، أخبرنا محمد بن يزيد بن خُنيس ، أخبرنا عمر بن قُبيس ، حدثني عطاء ، قال : كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين ، فيسألها وتحدثه ، فجاء ذات يوم يسألها ، فقالت : يا بني ! هل عملت بما سمعت ؟ فقال : لا والله يا أمه ، قالت : يا بني ! ففيم تستكثر من حجج الله علينا وعليك[٢] .

٦٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبيد الله ابن موسى ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، أن أبا

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٢٣٩) ، وهو حديث صحيح موقوفاً .

(٢) الخطيب في « اقتضاء العلم العمل » ص(١٩٠) رقم (٩٢) .

الدرداء قال : ويل للذي لا يعلم مرة ، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات[١] .

قال محمد بن الحسين : من تدبر هذا ، أشفق من علمه أن يكون عليه لا له ، فإذا أشفق مقت نفسه ، وبان بأخلاقه الشريفة التي تقدَّم ذكرُنا لها .

والله الموفِّق لنا ولكم إلى الرَّشاد من القول والعمل .

* * *

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٢١٢) ، وأحمد في « الزهد » ص(١٧٦) ، والخطيب في « اقتضاء العلم العمل » (ص١٨١) رقم (٦٦ - ٦٨) ، وإسناده منقطع بين ميمون وأبي الدرداء رضي الله عنه .

كتاب أخلاق العالم الجاهل المُفْتَتن بعلمه

قال محمد بن الحسين : قد تقدَّمت الأخبار عن النَّبيِّ ﷺ ، وعن صحابته رضي الله عنهم ، وعن أئمة المسلمين رحمهم الله بصفة علماء في الظاهر ، لم ينفعهم الله بالعلم ، ممن طلبه للفخر والرياء والجدل والمراء ، وتأكّل به الأغنياء ، وجالس به الملوك وأبناء الملوك ، لينال به الدنيا ، فهو ينسب نفسه إلى أنه من العلماء ، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء ، فتنة لكل مفتون ، لسانُه لسان العلماء ، وعمله عملُ السُّفهاء .

فإن قال قائل : فاذكر الأخبار في ذلك ، لنحذر ما حذرتنا ، قيل : نعم ، إن شاء الله .

٦٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر قاسم بن زكريا ، أخبرنا المطرز ، أخبرنا أبو الحسن رجاء بن محمد ، أخبرنا محمد بن عباد الهنائي ، أخبرنا علي بن المبارك ، عن أيوب السختياني ، عن خالد بن دريك ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ تَعلَّمَ علماً لغَيْرِ الله ، أوْ أرادَ بِهِ غَيْرَ الله ، فَلْيتبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار »[١] .

٦٤ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح ، أخبرنا الحسن بن علي الحلواني ، أخبرنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَتعلَّمُوا العِلْمَ لِتُباهُوا بهِ العُلَمَاءَ ، ولا لِتُمارُوا به السُّفَهاءَ ، ولا لِتَجْتَرُّوا بِهِ المَجَالِسَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فالنَّارُ النَّارُ »[٢] .

٦٥ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي ، أخبرنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام ، أخبرنا أمية بن خالد ، أخبرنا إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، حدثني ابن كعب بن مالك ، عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) الترمذي (٢٦٥٧) ، وابن ماجه (٢٥٣) ، وهو حديث حسن .

(٢) ابن ماجه (٢٥٤) ، وابن حبان (٩٠) « موارد » ، والحاكم ٨٦/١ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١١٢٧) ، والبيهقي في « الشعب » (١٦٣٥) ، وهو حديث صحيح .

« مَنْ طَلَبَ العِلْمَ ليُجَارِيَ بهِ العُلمَاءَ ، ويُمارِيَ بِهِ السُّفَهاءَ ، ويَصْرِفَ بهِ وجُوهَ النَّاس إليهِ ، أَدْخَلَه اللهُ النَّار »[١] .

٦٦ ـ أخبرنا أبو بكر أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعي ـ في المسجد الحرام ـ **أخبرنا** يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرني يحيى بن سلام ، عن عثمان بن مقسم ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذاباً يَوْمَ القِيَامةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفعْهُ عِلْمُهُ** »[٢] .

٦٧ ـ أخبرنا أبو بكر أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا أيوب بن محمد الوزان ، أخبرنا غسان ـ يعني ابن عبيد ـ عن عثمان البُرِّي ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ أَشَدَّ النَّاس عَذاباً يَوْمَ القِيَامةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ** »[٣] .

---

(١) الترمذي (٢٦٥٦) ، والحاكم ١/ ٨٦ ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٠٧٩) ، وهو حديث ضعيف .

(٣) انظر الحديث السابق .

٦٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا عبد الله بن الصادق ، أخبرنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ عُبَّادٌ جُهَّالٌ ، وعُلماءُ فُسَّاقٌ** »[١] .

٦٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي ، أخبرنا محمد بن الحسن البلخي ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا سفيان الثوري ، قال : يقال : تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل ، وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون[٢] .

٧٠ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا هشام بر عمار ، أخبرنا صدقة بن خالد ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ، والحاكم ٤/ ٣١٥ ، وفي إسناده يوسف بن عطية ، وهو متروك ، ولتمام الفائدة انظر : « الأحاديث الضعيفة » (٤٤٧) .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١١٦١) من طريق محمد بن مقاتل عن ابن المبارك ، قال : كان يقال : « تعوذوا .. » فذكره ، وهو في زوائد نعيم بن حماد على ما رواه المروزي في « كتاب الزهد » (٧٥) ص(١٨) لابن المبارك من كلام سفيان ، كما هنا .

جابر ، قال : سمعت مكحولاً يقول : إنه لا يأتي على الناس ما يوعدون حتى يكون عالسهم فيهم أنتن من جيفة حمار[١] .

٧١ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرني أبي ، قال : سمعت الأوزاعي ، يقول : كان يقال : ويل للمتفقهين لغير العبادة ، والمستحلين الحرمات بالشبهات[٢] .

٧٢ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزيُّ ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبِّه يقول : قال الله عز وجل فيما يُعاتبُ به أحبار بني إسرائيل : « تَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الدِّينِ ، وَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ ، وَتَبْتَاعُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، تَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأنِ ، وَتُخْفُونَ أَنْفُسَ الذِّئَابِ ، وَتَتَّقُونَ الْقَذَا مِنْ شَرَابِكُم ، وَتَبْتَلِعُونَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ مِنَ الْحَرَامِ ،

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٥/ ١٨١ .

(٢) الخطيب في « اقتضاء العلم العمل » ص(٢٠٣) رقم (١١٩) ، وفي « الفقيه والمتفقه » ٢/ ٨٩ ، والدارمي (١٩٣) ، وإسناده ضعيف .

وَتُثْقِّلُونَ الدِّينَ عَلَى النَّاسِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، تُطِيلُونَ الصَّلَاةَ ، وَتُبَيِّضُونَ الثِّيَابَ ، وَتَنْتَقِصُونَ مَالَ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ ، فَبِعِزَّتِي حَلَفْتُ لَأَضْرِبَنَّكُمْ بِفِتْنَةٍ يَضِلُّ فِيهَا رَأْيُ ذِي الرَّأْيِ ، وَحِكْمَةُ الْحَكِيمِ »(١) .

٧٣ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصَّندليُّ ، أخبرنا الفضل بن زياد قال : سمعت الفضيل يقول : إنما هما عالمان ، عالم دنيا ، وعالم آخرة ، فعالم الدنيا علمه منشور ، وعالم الآخرة علمه مستور ، فاتبعوا عالم الآخرة ، واحذروا عالم الدنيا ، لا يصدنكم بسُكره ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٤] ، الأحبار : العلماء ، والرهبان : العباد ، ثم قال : لكثير من علمائكم زيُّه أشبه بزيِّ كسرى وقيصر منه بمحمد ﷺ ، إنَّ النبي ﷺ لم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، ولكن رفع له علم فشمر إليه .

---

(١) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٦٢ ، وفي « اقتضاء العلم العمل » ص(٢٠٣) رقم (١٢٠) ، وابن المبارك في « الزهد » (٤٧٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٤/ ٣٨ ـ ٣٩ .

وقال الفضيل : « العلماء كثير ، والحكماء قليل ، وإنما يراد من العلم الحكمة ، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً »[١] .

قال محمد بن الحسين : قول الفضيل ـ والله أعلم ـ : الفقهاء كثير ، والحكماء قليل ، يعني : قليل من العلماء من صان علمه عن الدنيا ، وطلب به الآخرة ، والكثير من العلماء قد افتتن بعلمه ، والحكماء قليل ، كأنه يقول : ما أعزَّ من طلب بعلمه الآخرة .

٧٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل ، أخبرنا بشر بن الوليد ، أخبرنا فليح بن سليمان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ تَعَلَّمَ علماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ، لا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنيا ، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجنَّةِ يَوْمَ القِيَامةِ** »[٢] .

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٨/ ٩٢ .

(٢) أبو داود (٣٦٦٤) ، وابن ماجه (٢٥٢) ، وأحمد ٢/ ٣٣٨ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١١٤٣ ـ ١١٤٦) ، وصححه الحاكم ١/ ٨٥ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

٧٥ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا شعيب بن أيوب ، أخبرنا عبد الله بن نمير ، أخبرنا معاوية النَّصْرِيُّ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن الأسود بن يزيد ، قال غير شعيب وعلقمة ـ ولم أر شعيباً ذكر علقمة ـ قال : قال عبد الله بن مسعود : لو أن أهل العلم صانوا العلم ، ووضعوه عند أهله ، سادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم ، فهانوا على أهلها ، سمعت نبيكم ﷺ يقول : « مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمّاً وَاحِداً ، هَمَّ آخِرتِهِ ، كَفاهُ اللهُ هَمَّ دُنْياهُ ، ومَنْ تَشعَّبَتْ بِهِ هُمُومُ أحْوَالِ الدُّنيا ، لَمْ يُبالِ الله في أيِّ أوْدِيَتِهَا هَلكَ »[1] .

٧٦ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا عمر بن أيوب السقطي ، أخبرنا الحسن بن حماد الكوفي ، أخبرنا أبو أسامة ، عن عيسى بن سنان ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم ، فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم ،

---

(١) ابن ماجه (٢٥٧) ، قال في « ضعيف ابن ماجه » (٥٣) : ضعيف إلا المرفوع منه فهو حسن .

فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم ، لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فإياك وأبواب السلاطين ، فإن عند أبوابهم فتناً كمبارك الإبل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله[1] .

قال محمد بن الحسين : فإذا كان يُخاف على العلماء من ذلك الزمان ، أن تفتنهم الدنيا ، فما ظنك في زماننا هذا ؟ الله المستعان ! ما أعظم ما قد حلَّ بالعلماء من الفتن ، وهم عنه في غفلة .

٧٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشي ، أخبرنا علي بن حرب الطائي ، أخبرنا سعيد بن عامر ، عن هشام ، صاحب الدستوائي ، قال : قرأت في كتاب بلغني : أن من كلام عيسى بن مريم عليه السلام : كيف يكون من أهل العلم من سخط رزقه ، واحتقر منزلته ، وقد علم أن ذلك من علم الله وقدرته ، وكيف يكون من أهل العلم من اتَّهم الله فيما قضاه ، وليس يرضى شيئاً أصابه ؟ كيف يكون من أهل العلم من مسيره

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٤/ ٢٩ ـ ٣٠ ، والدارمي (٦٥٢) .

إلى آخرته وهو مقبل على دنياه ؟ وكيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته ، وهو في دنياه أفضل رغبة ؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليحدث به ، ولا يطلبه ليعمل به[١] ؟

٧٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصَّندلي ، أخبرنا الفضل بن زياد ، أخبرنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : إن الله عز وجل يحب العالم المتواضع ، ويبغض العالم الجبار ، ومن تواضع لله ورَّثهُ الله الحكمة[٢] .

٧٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا هدبة ، أخبرنا حزم ، قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إنكم في زمان أشهب ، لا يبصر زمانكم إلا البصير ، إنكم في زمان نفخاتهم ، قد انتفخت ألسنتهم

---

(١) الدارمي (٣٧٤) ، وأحمد في « الزهد » ص(٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٦/ ٢٧٩ ، وإسناده معضل .

(٢) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١١٣ .

في أفواههم ، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فاحذروهم على أنفسكم ، لا يوقعوكم في شبكاتهم ، يا عالم ، أنت عالم تأكل بعلمك ، يا عالم أنت تفخر بعلمك ، يا عالم ، أنت عالم تكاثر بعلمك ، يا عالم ، أنت عالم تستطيل بعلمك ، لو كان هذا العلم طلبته لله لرئي ذلك فيك ، وفي علمك[1] .

قال محمد بن الحسين : فإن قال قائل : فصف لنا أخلاق هؤلاء العلماء الذين علمهم حجة عليهم ، حتى إذا رأينا من يشار إليه بالعلم اعتبرنا ما ظهر من أخلاقهم ، فإذا رأينا أخلاقاً لا تحسن بأهل العلم اجتنبناهم ، وعلمنا أن ما استبطنوه من دناءة الأخلاق أقبح مما ظهر ، وعلمنا أنه فتنة فاجتنبناهم ، لئلا نفتتن كما افتتنوا ، والله موفقنا للرشاد .

قيل له : نعم ، سنذكر من أخلاقهم ما إذا سمعها من ينسب إلى العلم رجع إلى نفسه ، فتصفح أمره ، فإن كان فيه خلق من تلك الأخلاق المكروهة المذمومة استغفر الله ، وأسرع الرجعة

---

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٢/ ٣٦٣ .

عنها إلى أخلاق هي أولى بالعلم مما يقربهم إلى الله عز وجل ، وتجافى عن الأخلاق التي تباعدهم عن الله .

فمن صفته في طلبه للعلم يطلب العلم بالسهو والغفلة ، وإنما يطلب من العلم ما أسرع إليه هواه . فإن قال : كيف ؟ قيل : ليس مراده في طلب العلم أنه فرض عليه ليتعلم كيف يعبد الله فيما يعبده ، من أداء فرائضه واجتناب محارمه ، إنما مراده في طلبه يكثر التعرف أنه من طلاب العلم ، وليكون عنده ، فإذا كان عنده هذَّب نفسه ، وكم علم إذا سمعه أو حفظه شَرُفَ به عند المخلوقين ، سارع إليه ، وخفَّ في طلبه ، وكل علم وجب عليه فيما بينه وبين ربِّه عزَّ وجلَّ أن يعلمه فيعمل به ، ثقل عليه طلبه ، فتركه على بصيرة منه مع شدة فقره إليه ، يثقل عليه أن يفوته سماعاً لعلم قد أراده ، حتى يلزم نفسه بالاجتهاد في سماعه ، فإذا سمعه هان عليه ترك العمل به ، فلم يلزمها ما وجب عليه من العمل به ، كما ألزمها السماع فهذه غفلة عظيمة ، إن فاته سماع شيء من العلم أحزنه ذلك ، وأسف على فوته ، كل ذلك بغير تمييز منه ، وكان الأولى به أن يحزن على علم قد سمعه ،

فوجبت عليه به الحجة فلم يعمل به ، ذلك كان أولى به أن يحزن عليه ويتأسف .

يتفقه للرياء ، ويُحاج للمِراء ، مناظرته في العلم تكسبه المأثم ، مراده في مناظرته أن يعرف بالبلاغة ، ومراده أن يخطئ مناظره ، إن أصاب مناظره الحق أساءه ذلك ، فهو دائب يسرُّه ما يسرُّ الشيطان ، ويكره ما يحب الرحمن ، يتعجب ممن لا يُنصف في المناظرة ، وهو يجور في المحاجَّة ، يحتج على خطئه ، وهو يعرفه ، ولا يُقِرُّ به خوفاً أن يذم على خطئه .

يُرخص في الفتوى لمن أحب ، ويشدد على من لا هوى له فيه ، يذم بعض الرأي ، فإن احتاج الحكم والفتيا لمن أحبَّ دَلَّهُ عليه ، وعمل به ، من تعلم منه علماً فهمته فيه منافع الدنيا ، فإن عاد عليه خفَّ عليه تعليمه ، وإن كان ممن لا منفعة له فيه للدنيا ، وإنما منفعته الآخرة ثقل عليه ، يرجو ثواب علم ما لم يعمل به ، ولا يخاف سوءَ عاقبة المساءلة عن تخلُّف العمل به ، يرجو ثواب الله على بُغضه من ظن به السوء من المستورين ، ولا يخاف مقت الله على مداهنته للمهتوكين ، ينطق بالحكمة فيظن أنه من أهلها ،

ولا يخاف عظم الحجة عليه لتركه استعمالها ، إن علم ازداد مباهاة وتصنعاً ، وإن احتاج إلى معرفة علم تركه أنفاً .

إن كثر العلماء في عصره فذكروا بالعلم أحب أن يُذكر معهم ، إن سئل العلماء عن مسألة فلم يسأل هو ، أحب أن يسأل كما سئل غيره ، وكان أولى به أن يحمد ربه إذ لم يسأل ، وإذ كان غيره قد كفاه ، إن بلغه أن أحداً من العلماء أخطأ ، وأصاب هو ، فرح بخطأ غيره ، وكان حكمه أن يسوءه ذلك .

إن مات أحد من العلماء سره موته ليحتاج الناس إلى علمه ، إن سئل عما لا يعلم أنف أن يقول : لا أعلم ، حتى يتكلف مالا يسعه في الجواب ، إن علم أن غيره أنفع للمسلمين منه كره حياته ، ولم يرشد الناس إليه ، إن علم أنه قال قولاً فتوبع عليه ، وصارت له به رتبة عند من جهله ، ثم علم أنه أخطأ أَنِفَ أن يرجع عن خطئه ، فيثبت بنصر الخطأ ، لئلّا تسقط رتبته عند المخلوقين .

يتواضع بعلمه للملوك وأبناء الدنيا ، لينال حظَّه منهم بتأويل يقيمه ، ويتكبر على من لا دنيا له من المستورين والفقراء ، فيحرمهم علمه بتأويل يُقيمه ، ويعد نفسه في العلماء وأعماله

أعمال السفهاء ، قد فتنه حُبُّ الدُّنيا والثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا ، يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحُلَّة الحسناء للدنيا ، ولا يُجمل علمه بالعمل به .

قال محمد بن الحسين : من تدبر هذه الخصال ، فعرف أن فيه بعض ما ذكرنا ، وجب عليه أن يستحي من الله ، وأن يسرع الرجوع إلى الحق ، وسأذكر من الآثار بعض ما ذكرت ، ليتأدب به العالم إن شاء الله . فأما قولنا : يتجمل بالعلم ، ولا يجمل العلم بعمله .

٨٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا حريز بن عثمان ، عن حبيب بن عبيد قال : تعلموا العلم ، واعقلوه ، وانتفعوا به ، ولا تعلموه لتجملوا به ، إنه يوشك إن طال بك العمر أن تتجمل بالعلم ، كما يتجمل الرجل بثوبه[1] .

---

(١) أحمد في « كتاب الزهد » ص(٣٨٦) ، وابن المبارك في « الزهد » (١٣٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٦/ ١٠٢ ، والدارمي (٣٧٥) ، وإسناده صحيح .

٨١ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا علي بن قادم ، أخبرنا سفيان ، عن ليث قال : قال طاوس : ما تعلمت فتعلم لنفسك ، فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس[١] .

قال محمد بن الحسين : وأما من كان يكره أن يفتي إذا علم أن غيره يكفيه .

٨٢ ـ **فحدثنا** جعفر بن محمد الصندلي ، أخبرنا الحسن بن محمد الزعفراني ، أخبرنا شبابة بن سوار ، أخبرنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ، إذا سئل أحدهم عن الشيء ، أحب أن يكفيه صاحبه[٢] .

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٨٨٤) و(١١٥٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٤/ ١١ ، والدارمي (٥٤٦) ، وابن أبي شيبة في ١٣/ ٥١٠ (١٧٠٨٦) ، في إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف .

(٢) ابن المبارك في « الزهد » (٨٥) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢١٩٩) و(٢٢٠١) و(٢٢٠٢) ، وإسناده صحيح .

٨٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر أيضاً ، أخبرنا محمد بن المثنى ، قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : سمعت المعافى ابن عمران يذكر عن سفيان قال : أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا ، ولا يُفْتوا حتى لا يجدوا بُدّاً من أن يُفْتوا[1] .

وقال المعافى : سألت سفيان فقال : أدركت الناس ممن أدركت من العلماء والفقهاء ، وهم يترادون المسائل يكرهون أن يجيبوا فيها ، فإذا أعفوا منها ، كان ذلك أحب إليهم .

٨٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأُشناني ، أخبرنا الحسين بن الأسود العجلي ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا حماد بن شعيب ، عن حجاج ، عن عمير بن سعيد قال : سألت علقمة عن مسألة ، فقال : ائت عبيدة فاسأله ، فأتيت عبيدة فقال : ائت علقمة ، فقلت : علقمة أرسلني إليك ، فقال : ائت مسروقاً فاسأله ، فأتيت مسروقاً ، فسألته فقال : ائت علقمة فاسأله ، فقلت : علقمة أرسلني إلى عبيدة ، وعبيدة أرسلني

---

(١) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٥ .

إليك ، فقال : ائت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فأتيت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فسألته فكرهه ، ثم رجعت إلى علقمة فأخبرته ، قال : كان يقال : أجرأ القوم على الفتيا أدناهم علماً[(١)] .

٨٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي ، أنبأنا محمد بن المثنى ، قال : سمعت بشراً ، قال : قال سفيان : من أحب أن يسأل فليس بأهل أن يسأل[(٢)] .

٨٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا محمد بن طلحة بن مصرف ، عن أبي حمزة ، قال : قال لي إبراهيم : والله يا أبا حمزة ! لقد تكلمت ، ولو أجد بُدًّا ما تكلمت ، وإنَّ زماناً أكون فيه فقيهَ أهل الكوفة لزمانُ سوء .

وأما من كان إذا سئل عن الأمر سأل : هل كان ؟ فإن قيل : كان ، أفتى فيه ، وإن قيل : لم يكن ، لم يفت فيه ، كل ذلك إشفاقاً من الفتيا[(١)] .

---

(١) ابن عبد البر ٢/ ٥٥ .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٠٦٠) .

٨٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني ، أخبرنا داود بن عمر ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، قال : [كان زيد ابن ثابت رضي الله عنه] إذا سئل عن شيء قال : هل وقع ؟ فإن قالوا له : لم يقع ، لم يخبرهم ، وإن قالوا : قد وقع ، أخبرهم[٢] .

٨٨ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا موسى بن علي قال : سمعت أبي قال : كان الرجل يأتي زيد بن ثابت فيسأله عن الأمر ، فيقول : آللهِ ، أنزل هذا ؟ فإن قال : والله لقد نزل هذا ، أفتاه ، وإن لم يحلف ، تركه[٣] .

---

(١) الدارمي (٢٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » ٤/ ٢٢٣ ، وفي إسناده ميمون أبو حمزة القصاب ، وهو ضعيف .

(٢) الدارمي (١٢٤) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٠٥٨) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ٨ ، وإسناده حسن .

(٣) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٠٦٨) ، وأبو خيثمة في « العلم » (٧٥) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ٨ وإسناده صحيح .

٨٩ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا ابن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير أيضاً ، أخبرنا شريج بن النعمان ، أخبرنا أبو عوانة ، عن فراس ، عن عامر ، عن مسروق قال : كنت أمشي مع أُبي بن كعب ، فقال له رجل : يا عماه ، كذا وكذا ، فقال : يا ابن أخي ، أكان هذا ؟ قال : لا ، قال : فَاعْفِنَا حتى يكونَ[(١)] .

٩٠ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا ابن عبد الحميد ، أخبرنا زهير بن محمد بن قمير ، أخبرنا منصور بن سعيد ، أخبرنا حماد ابن زيد ، أخبرنا الصلت بن راشد ، قال : سألت طاوساً عن شيء ، فانتهرني ، وقال : أكان هذا ؟ قلت : نعم ، قال : آلله ، قلت : آلله ، قال : أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل أنه قال : أيها الناس ، لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله ، فيذهب بكم هاهنا وهاهنا ، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله ، لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سُدِّدَ ، أو قال وفق[(٢)] .

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٦٠٤) ، والدارمي (١٥٢) ، وأ[بو] خيثمة في « العلم » (٧٦) ، وإسناده صحيح .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٠٥٥) ، والطبراني في « الكبير » ١٦٧/٢٠ (٣٥٣) مرفوعاً ، وإسناده ضعيف ، وأخرجه موقوفاً الدارمي (١٥٥) ، وإسناده صحيح .

قال محمد بن الحسين : وأما ما ذكرنا في الأغلوطات ، وتعقيد المسائل مما ينبغي للعالم أن ينزه نفسه عن البحث عنهما مما لم يكن ـ ولعلها لا تكون أبداً ـ فيشغلوا نفوسهم بالنظر ، والجدل ، والمراء فيهما ، حتى يشتغلوا بها عما هو أولى بهم ، ويغالط بعضهم بعضاً ، ويطلب بعضهم زلل بعض ، ويسأل بعضهم بعضاً ، هذا كله مكروه منهي عنه ، لا يعود على من أراد هذا منفعةٌ في دينه ، وليس هذا طريق من تقدّم من السلف الصالح ، ما كان يطلب بعضهم غلط بعض ، ولا مرادهم أن يخطئ بعضهم بعضاً ، بل كانوا علماء عقلاء ، يتكلمون في العلم مناصحة ، وقد نفعهم الله بالعلم .

٩١ ـ **أخبرنا** أبو بكر الفريابي ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْماً : رَجُلٌ سَأَلَ عَلَى أَمرٍ لَمْ يُحَرَّمْ ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجلِ مَسْأَلَتِهِ** »[1] .

---

(١) البخاري (٧٢٨٩) ، ومسلم (٢٣٥٨) ، وأحمد ١/ ١٧٦ و١٧٩ ، وأبو داود (٤٦١٠) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٤٤) ، والحميدي (٦٧) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٠٤٨) .

٩٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي أبو عبد الله ، أخبرنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم ، أخبرنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الملك بن عمير ، عن وَرَّاد ، مولى المغيرة بن شعبة ، عن المغيرة بن شعبة : « أن رسول الله ﷺ نهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال »(١) .

٩٣ ـ [أخبرنا أبو بكر ،] أخبرنا جعفر بن محمد الصَّندلي ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي ، أخبرنا أبو النضر ـ يعني الدمشقي ـ أخبرنا يزيد بن ربيعة ، قال : سمعت أبا الأشعث ، يحدِّث عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ قال : « **سَيكُونُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَتَغلَّطُونَ فُقَهاءَهُمْ بِعَضْلِ المَسَائلِ ، أُوْلئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي** »(٢) .

٩٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر الصَّندلي ، أخبرنا الحسن بن محمد الزعفراني ، أخبرنا علي بن بحر القطان ، أخبرنا عيسى بن يونس ، أخبرنا الأوزاعي ، عن عبد الله بن سعد ، عن

---

(١) البخاري (٨٤٤) و(١٤٧٧) ، وفي أبواب وكتب أخرى ، ومسلم رقم (٥٩٣) (١٢) ، وأحمد ٤/ ٢٤٩ .

(٢) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١١ .

الصنابحي ، عن معاوية بن أبي سفيان : « أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات » قال عيسى : والأغلوطات : ما لا يحتاج إليه من : كيف وكيف[1] ؟

٩٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعي ـ في المسجد الحرام ـ ، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنا مسلمة بن علي ، عن صالح ، عن الحسن قال : إن شرار عباد الله قوم يحبون شرار المسائل ، يعمون بها عباد الله[2] .

٩٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصَّندلي ، أخبرنا الزعفراني ، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمران بن حدير ، عن ربيع بن كثير قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً : سلوني عما شئتم ، فقال ابن الكواء : ما السواد الذي

---

(١) أبو داود (٣٦٥٦) ، وأحمد ٥/ ٤٣٥ ، والطبراني في « الكبير » ١٩/ ٩٨٢ ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٠ ـ ١١ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢٠٣٧ ـ ٢٠٣٨) ، في إسناده عبد الله بن سعد وهو مجهول .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٠٨٤) .

في القمر ؟ قال : قاتلك الله ، ألا سألت عما ينفعك في دنياك وآخرتك ؟ ذاك محو آية الليل [١] .

٩٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصَّندلي ، أخبرنا الفضل بن زياد ، قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول لرجل ألح عليه في تعقيد المسائل ، فقال أحمد : تسأل عن عبدٍ بين رجلين ؟ سلْ عن الصلاة والزكاة شيئاً تنتفع به ، ونحو هذا : ما تقول في صائم احتلم ؟ فقال الرجل : لا أدري ، فقال أبو عبد الله : تترك ما تنتفع به ، وتسأل عن عبد بين رجلين ؟ . ثم حدثنا ، عن روح ، عن أشعث ، عن الحسن في صائم احتلم : لا شيء عليه .

٩٨ ـ **وحدثنا** عن روح ، عن حبيب بن أبي حبيب ، عن عمرو بن هرم ، عن جابر بن زيد في صائم احتلم ، قال : لا شيء عليه ، ولكن يعجل بالغسل .

قال محمد بن الحسين : فلو أدَّب العلماء أنفسهم وغيرهم بمثل هذه الأخلاق التي كان عليها من مضى من أئمة المسلمين

---

(١) انظر : « جامع بيان العلم وفضله » (٧٢٦) .

انتفعوا بها ، وانتفع بهم غيرهم ، وبارك الله لهم في قليل علمهم ، وصاروا أئمة يهتدى بهم .

وأما الحجة للعالم يسأل عن الشيء لا يعلمه ، فلا يستنكف أن يقول : لا أعلم إذا كان لا يعلم ، وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، اتبعوا في ذلك نبيهم ﷺ ، لأنه كان إذا سئل عن الشيء مما لم يتقدم له فيه علم الوحي من الله عز وجل فيقول : « لا أدري » ، وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم فيه العلم أن يقول : الله أعلم به ، ولا علم لي به ؟ ولا يتكلف ما لا يعلمه ، فهو أعذر له عند الله ، وعند ذوي الألباب .

٩٩ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا عثمان بن أبي شيبة ، أخبرنا جرير بن عبد الحميد ، عن عطاء بن السائب ، عن محارب بن دِثَار ، عن ابن عمر ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أيُّ البقاع خير ؟ قال : « لا أدري » ، أو سكت ، قال : فأيُّ البقاع شرٌّ ؟ قال : « لا أدري » ، أو سكت ، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فقال : « لا أدري » فقال : « سلْ ربك » قال : ما أسأله عن شيء ، وانتفض انتفاضة كاد يصعق

منها محمد ﷺ ، قال : فلما صعد جبريل عليه السلام قال الله تعالى : « سألك محمد عن أي البقاع خير ؟ قلت : لا أدري ، وسألك عن أي البقاع شر ؟ قلت : لا أدري قال : فخبره أن خير البقاع المساجد ، وشر البقاع الأسواق »[(١)] .

١٠٠ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد بن هارون بن يوسف التاجر ، أخبرنا ابن أبي عمر ، أخبرنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن زادان أبي ميسرة ، قال : خرج علينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً وهو يمسح بطنه ، وهو يقول : يا بردها على الكبد ، سئلت عمَّا لا أعلم فقلت : لا أعلم ، والله أعلم[(٢)] .

١٠١ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد ، أيضا ، أخبرنا ابن أبي عمر ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٥٥٠) ، وابن حبان (٢٩٩) « موارد » ، والحاكم ١/ ٩٠ و٢/ ٧ ـ ٨ ، والبيهقي ٣/ ٦٥ ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١ ، وإسناده ضعيف لأن جرير بن عبد الحميد سمع من عطاء بعد الاختلاط كما قال أحمد .

(٢) ابن عبد البر (١٥٦٩) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٧١ ، والدارمي (١٨١ ـ ١٨٤) من طرق ، وهو حديث صحيح بطرقه .

مسروق ، قال : قال عبد الله : أيها الناس ! من علم منكم علماً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : لا أعلم ، والله أعلم ، فإن من علم المرء أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص : ٨٦](١) .

١٠٢ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه سئل عن أمر ، لا يعلمه ، فقال : لا أعلمه(٢) .

١٠٣ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصَّندلي ، أخبرنا أحمد ابن منصور الرمادي ، أخبرنا محاضر ، عن الأعمش ، عن عطية ، قال : جاء رجلٌ إلى ابن عمر يسأله عن فريضة هيِّنةٍ من الصُّلْبِ ،

---

(١) البخاري (٤٦٩٣) وفي أبواب وكتب أخرى ، ومسلم (٢٧٩٨) ، وأبو يعلى (٥١٤٥) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٥٥٦ و١٥٥٧ و١٥٥٩) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١٧٩) .

(٢) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٧٢ ، والدارمي (١٨٧) ، وإسناده حسن .

فقال : لا أدري ، فقام الرجل ، فقال له بعض من عنده : ألا أخبرت الرجل ؟ فقال : لا ، والله ما أدري[١] .

١٠٤ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا هارون بن يوسف ، أخبرنا ابن أبي عمر ، أخبرنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سئل ابن لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيء فلم يكن عنده جواب ، فقلت : إني لأعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى ، يسأل عن شيء لا يكون عندك منه علم ؟ فقال : أعظمُ والله من ذلك عند الله ، وعند من عقل عن الله عز وجل أن أقول بغير علم ، أو أحدث عن غير ثقة .

١٠٥ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصَّندلي ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي ، أخبرنا عبد الرزاق قال : كان مالك يذكر قال : كان ابن عباس يقول : إذا أخطأ العالم أن يقول : لا أدري ، فقد أصيبت مقاتله[٢] .

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٥٦٦) ، من طريق أحمد بن عمرو ، حدثنا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن مجاهد سئل ابن عمر ، وإسناده صحيح .

(٢) الخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢ / ١٧٢ ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥٨١) ، وإسناده ضعيف .

١٠٦ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصَّندلي ، أخبرنا يعقوب بن بُخْتان قال : سمعت أحمد بن حنبل أبا عبد الله رحمه الله قال : سمعت الشافعي ، قال : سمعت مالكاً ، قال : سمعت ابن عجلان ، قال : إذا أغفل العالم : « لا أدري » أصيبت مقاتله[1] .

١٠٧ ـ **أخبرنا** أبو بكر ، أخبرنا جعفر ، أخبرنا صالح بن أحمد ، عن أبيه قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : جاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء ، فقال له مالك : لا أدري ، قال الرجل : فأذكر عنك أنك لا تدري ؟ قال : نعم ، احكِ عني أني لا أدري[2] .

قال محمد بن الحسين : من تَخلَّقَ بهذه الأخلاق كانت أوصافه تلك الأوصاف التي تقدَّم ذكرنا لها .

---

(١) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٥٧٣) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٧٤ .

(٢) ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٥٧٣) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » ٢/ ١٧٤ .

وصف من لم ينفعهم الله بالعلم

وأما من كانت أوصافه وأخلاقه الأخلاق المذمومة التي ذكرناها ، لم يلتفت إلى هذا ، واتَّبع هواه ، وتعاظم في نفسه وتجبر ، ولم يؤثر العلم في قلبه أثراً يعود عليه نفعه ، وكانت أخلاقه في كثير من أموره أخلاق أهل الجفاء والغفلة . وسأذكر من أخلاقه الجافية ما إذا تصفح نفسه خرج عن الأخلاق الشريفة ، ورضي لنفسه بالأخلاق الدنيئة التي لا تحسن بالعلماء ، علم أنها فيه وشهد على نفسه بذلك ، لا يمكنه دفع ذلك ، والله العظيم مطلع على سره . فمن صفته : أن يكون أكثر همه معاشه ، من حيث نُهي عنه ، مخافة الفقر أن ينزل به ، لا يقنع بما أعطي مستبطئاً لما لم يجر به المقدور ، أن يكون شغل الدنيا دائم في قلبه ، وذكر الآخرة خطرات ، يطلب الدنيا بالتعب والحرص والنصب ، ويطلب الآخرة بالتسويف والمنى ، يذكر الرجاء عند الذنوب ، فيطلب نفسه بالمقام عليها ، ويذكر العجز عند الطاعة حين همَّ بها ، فينزجر عنها ، ويظن أنه محسن بالله

الظن ، وأنه يوثق به في العفو ، ولم يضمن له ، ولا يحسن الظن بالله ، ويثق به في الرزق الذي ضُمن له يضطرب قلبه ، ويشتغل بطلب رزقه ، وقد أمر بالطمأنينة فيه إلى ربه ، ويطمئن ويسكن عند ذكر الموت ، وقد ندب إلى أن يخافه ، ولا يسكن عند الحذر والخوف من أجل رزقه ، وقد ضمن له وأمنه الله من أن يفوته ما قدر له ، فما أمنه الله منه يخافه ، وما خوَّفه الله منه أمنه .

يفرح بما آتاه الله من الدنيا ، حتى ينسى بفرحه شكر ربه ، ويغتم بالمصائب حتى تشغله عن الرضى عن ربه ، إن نابته نائبة سبق إلى قلبه الفزع إلى العباد ، والاستعانة بهم يطلب من ربه الفرج إذا أيس من الفرج من قبل الخلق ، فإن طمع في دنو إلى مخلوق نسي مولاه .

من اصطنع إليه معروفاً غلب على قلبه حب المصطنع إليه ، وشغل قلبه بذكره ، وألزم قلبه حبه وشكره ، ناس في جميع ذلك ربه ، يثقل عليه بذل القليل من ماله لمن لا يكافئ عليه إلا ربه ، ويخف عليه بذل الكثير لمن يكافئه ، أو يؤمل منه منفعته في دنياه ، يأثم فيمن أحب فيمدحه بالباطل ، ويعصي الله فيمن يبغضه فيذمه بالباطل .

يقطع بالظنون ، ويحقق بالتهم . يكره ظلم من ينتصر لنفسه ، أو ينصره من العباد غيره ، ويخف عليه ظلم من لا ناصر له سوى ربه . يثقل عليه الذكر ، ويخف عليه فضول القول ، إن كان في رخاء فرح ولهى وأسى وطغى وبغى ، وإن زال عنه الرخاء شغل قلبه عن الواجبات ، وظن أنه لا يفرح ، ولا يمرح أبداً .

إن مرض سوَّف التوبة ، وأظهر الندامة ، وعاهد أن لا يعود ، وإن وجد الراحة نقض العهد ، ورجع من قريب ، وإن خاف الخلق ، ورجا دنياهم أرضاهم بما يكره مولاه ، وإن خاف الله كما يزعم لم يرضه بما يكره الخلق ، يستعيذ بالله من شر من هو فوقه من العباد ، ولا يعيذ من هو دونه من الخلق من شر نفسه ، شفاؤه في إمضاء غيظه ، وإن كان مما يسخط ربه .

ينظر إلى من فضل عليه في الرزق ، فيستقل نعم ربه فلا يشكره ، ولا ينظر إلى من هو دونه في العيش فيشكر النعمة . يتشاغل بالفضول عن الصلوات إلى آخر أوقاتها ، فإن صلى صلى لاهياً عن صلاته ، غير معظم لمولاه إذا قام بين يديه ، إذا أطال إمامُه الصَّلاةَ مَلَّها وذمَّهُ ، وإن خففها اغتنم خِفَّته وحمده .

قليل الدُّعاء ما لم تنزل به الشدائد والعلل ، فإن دعا فبقلب مشغول بالدنيا .

قال محمد بن الحسين : هذه الأخلاق وما يشبهها تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم ، فبينا هو مقارن لهذه الأخلاق إذ رغبت نفسه في حبِّ الشرف والمنزلة ، وأحبَّ مجالسةَ الملوك ، وأبناء الدنيا ، فأحب أن يشاركهم فيما هم فيه من رَاخِي عيشهم ، من منزل بهيٍّ ، ومركبٍ هنيٍّ ، وخادم سريٍّ ، ولباس لينٍ ، وفراش ناعم ، وطعام شهي ، وأحب أن يُغشى بابه ، ويُسمع قولُه ، ويطاع أمرُه ، فلم يقدر عليه إلَّا من جهة القضاء فطلبه ، ولم يمكنه إلّا ببذل دينه ، فتذلل للملوك ولأتباعهم وخدمهم بنفسه ، وأكرمهم بماله ، وسكت عن قبيح ما يظهر من مناكيرهم على أبوابهم وفي منازلهم وقولهم وفعلهم .

ثم زيَّنَ لهم كثيراً من قبيح فعالهم بتأويله الخطأ ، ليحسن موقعه عندهم ، فلما فعل هذا مدة طويلة ، واستحكم فيه الفساد ، ولُّوهُ القضاء ، فذبحوه بغير سكين ، فصارت لهم عليه منة عظيمة ، ووجب عليه شكرهم ، فألزم نفسه ذلك ، لئلّا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضاء ، ولم يلتفت إلى غضب مولاه

الكريم ، فاقتطع أموال اليتامى والأرامل والفقراء والمساكين ، وأموال الوقوف على المجاهدين وأهل الشرف وبالحرمين ، وأموال يعود نفعها على جميع المسلمين ، فأرضى بها الكاتب والحاجب والخادم ، فأكل الحرام وأطعم الحرام ، وكثر الداعي عليه ، فالويل لمن أورثه علمه هذه الأخلاق .

هذا العالم الذي استعاذ منه النبي ﷺ ، وأمر أن يستعاذ منه ، هذا العالم الذي قال النبي ﷺ : « **إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه** » .

١٠٨ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أخيه عبَّاد بن أبي سعيد ، سمع أبا هريرة يقول : كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الأَرْبَع ، مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، ومِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ومِنْ نَفسٍ لا تَشْبَعُ ، ومِنْ دُعَاءٍ لا يُسْمَعُ** »[1] .

---

(١) أبو داود (١٥٤٨) ، والنسائي ٨/ ٢٦٣ ، وأحمد ٢/ ٣٤٠ و٣٦٥ و٤٥١ ، وابن ماجه (٣٨٣٧) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٠٧٥) ، والحاكم ١/ ١٠٤ و٥٣٤ ، من طرق ، وهو حديث صحيح .

١٠٩ ـ أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا أحمد بن صالح المصري ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرني أسامة بن زيد ، أن محمد بن المنكدر ، حدَّثه أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ علماً نَافِعاً ، وأعوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ » قال جابر : فأسرعت إلى أهلي ، فقلت لهم : إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات ، فادعوا بهن(١) .

* * *

آخر كتاب أخلاق العلماء

والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي

وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) أبو يعلى (١٩٢٧) ، وابن حبان (٢٤٢٦) « موارد » ، وابن أبي شيبة ١٠/ ١٨٥ (٩١٧١) ، والطبراني في « الأوسط » (١٣٣٧) ، وهو حديث حسن . وفي الباب عن أنس عند أبي يعلى (٢٨٤٥) ، وعن أبي هريرة عند أبي يعلى (٦٥٣٧) ، وأم سلمة عند أبي يعلى (٦٩٣٠) .

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

2023م - 1444هـ



سوريا - دمشق - ساحة الحجاز

+963 11 2229045 +963 988454358

albayan_in@hotmail.com albayan67



سوريا - دمشق - ساحة الحجاز

+963 11 2229045 +963 988454358

albayan_in@hotmail.com albayan67